الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:نقد أدبي حديث و معاصر

المـــــوضـــوع:

البعد الاجتماعي في كتاب طه حسين "المعذبون في الأرض "

إعداد الطالب (ة):
بودغيري نصيرة.

إشـــراف:
محمدشيراني

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	مصطفاوي عبد الجليل	رئيسا
أ.الدكتور	قندوسي نور الدين	ممتحنا
أ.الدكتور	شيراني محمد	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1439-1440 هـ
2018-2019 مـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

إن أي نجاح مهما كان صغيراً أو كبيراً لا يمكن لإنسانأن يحققه بمجهوده الفردي دون مساعدة الآخرين.

ولا يسعني في هذا الصدد إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لكل من ساعدني وأرشدني في سبيل انجاز هذا البحث المتواضع وأخص بالذكر أستاذي المشرف الأستاذ محمد شيرانيالذي لم يبخل عليّ بأية معلومة أو توجيه لإغناء البحث.

كما أتقدم بشكري الجزيل للأساتذة المناقشين.

الإهداء

بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وها نحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع.

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة .إلى من سعى و شقي لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة و صبر إلى والدي العزيز .

لا يكاد الحديث ينتهي عن طه حسين حتى ينتهي مرة أخرى ، و لعلها ظاهرة ينفرد بها كبار الأدباء عندنا ، و قد تباينت الدراسات حول كاتبنا من مشيد به و منتقص من شأنه ، و ما أشد حاجتنا إلى دراسة موضوعية منصفة تبين ما له و ما عليه، وهذا كان دافعي الأول لاختيار هذا الموضوع ، و الدافع الثاني ما يمثله من تمرد أثار كثيرا من التأويل و المعارك الأدبية .

و لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات و العراقيل ، و على الرغم من كثرة المصادر و المراجع إلا أنني واجهت صعوبات و عراقيل ، كصعوبة تطبيق منهج طه حسين في معالجة القضايا الاجتماعية و مشكل الوقت .

و من أهم المصادر و المراجع المقدمة في هذا البحث نذكر منها ما يلي :

المعذبون في الأرض لطه حسين ، ماذا يبقى من طه حسين للدكتور سامح كريم و طه حسين فكره و حياته في ضوء الإسلام لأنور الجندي .

و قد وضعنا عنوانا نلتمس فيه إمكانية تلبية طموحنا المنهجي الذي سوف نتبعه أثناء قراءتنا للرواية و تحليلها و الموسومة ب :" المعذبون في الأرض " .

ومن خلال ذلك أردنا الإجابة عن السؤال :

- ماهي الأبعاد الاجتماعية لطه حسين في كتاب المعذبون في الأرض ؟

و حسب ما تقتضيه مجريات البحث اعتمدنا على الخطة التالية: جاء بحثي في مدخل و فصلين و خاتمة، تناولت في المدخل : علم الاجتماع الأدبي مفهومه و مناهجه وخصصت الفصل الأول للظواهر الاجتماعية في الكتاب، التي كانت تحت ثلاث مباحث :

- المبحث الأول : يتمحور حول عرض الكتاب

- المبحث الثاني : كان حول المظاهر الاجتماعية في الكتاب بما فيها (ظاهرة الفقر و الفوارق الطبقية و العادات و التقاليد و صورة المرأة)
- المبحث الثالث : يتمحور حول المنهج الذي اتبعه طه حسين في معالجة هده القضايا .

أما الفصل الثاني فتناولت فيه القيم الجمالية و الفنية في الكتاب، جاءت تحت مباحث ثلاث :

- المبحث الأول : المكان والزمان في الكتاب.
- المبحث الثاني :الشخصيات.
- المبحث الثالث : أسلوب الكتاب.

يوم الثلاثاء 09 جويلية2019

الموافق ل : 06 ذو القعدة 1440

بودغيري نصيرة

مدخل علم الاجتماع الأدبي مفهومه و مناهجه :

الأدب ليس ظاهرة فرديةفقط تتصل بالكاتب أو مبدع الأدبيوتنبع من داخله، بل هي أيضا ظاهرة تتفاعل إلى جانبها عددكثير من العوامل الخارجية، أي أن الأدب مؤسسة تقوم على أساس العنصر الذي ينتمي إليه سكان المجتمع. يتفاعل تفاعلا عضويا مع الوسط الاجتماعي، أو الظروف والعوامل السائدة في المجتمع أي انه ظاهرة اجتماعية.[1]

لهذا فلا يمكن إنتاج أدب بدون مجتمع، فعملية الإبداع الأدبي نفسها تتأثر بمجموع العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ،" والمجتمع كائن قبل العمل الأدبي ومما يؤكد ارتباط الأدب بالمجتمع يعود ذلك إلى مرحلة الإنتاج الفني والأدبي، التي كانت متأخرة في عمر الإنسانية حيث لم يبدأ الإنسان في ممارسة هذا النشاط إلا بعد أن استقر في جماعة و عرف .وفي هذا المجال يذكر ويليكwellekووارين Warren عن علاقة الأدب بالمجتمع، أن الأدب مؤسسة اجتماعية أداته اللغة وهي من خلق المجتمع،أضف إلى ذلك أن الأدب يمثل الحياة والحياة في أوسع مقياسها حقيقة اجتماعية واقعية.."[2].

وفي تعريفنا للأدب يمكن الاعتماد على المادة، أو الوسيلة التي يستعملها الأدب، ولأنه جملة من الفنون تحتاج إلى ألفاظ و تراكيب، ولكن الأدب ليس مجرد ألفاظ وتراكيب بل يأخذ صورا و معاني، وهي تعبير عن موقف الإنسان من الوجود الاجتماعي.

فالواقع العام يمثل الصورة المحفوظة داخل الذاكرة، التي تكون وراء إبداع الأدب وتذوقه و نقده .وفي هذا السياق يقول طه حسين " إن العمل الأدبي لا يتكون من فراغ، وإنما ينشا من حاجة

[1] دراسات في علم اجتماع الأدب : أ.د أمل حركة. دار المعرفة الجامعة الإسكندرية 2009 ص 15
[2] م. ن، ص 29

فردية و اجتماعية ،هذه الحاجة هي علة وجوده التي تحفظ له علاقته بأصله الذي نشا عنه،كما تجعل منه صورة لاحقا للموضوع الذي يصوره."[1]فهو يقصد بهذا الكلام أن الأدب مجموعة من الممارسات الموجودة في مجتمع معين.

واستنادا على هذا يمكن القول بان الأدب مؤسسة اجتماعية، وما الأديب إلا عضو في المجتمع و منغمس في وضع اجتماعي معين ويتلقى نوع من الاعتراف الاجتماعي والمكافأة.

كما إن الأديب يخاطب جمهورا من الناس، فهو يظهر بتماسك مؤسسات اجتماعية، لهذا فان الكثير من المشاكل تطرح على صيغ مسائل اجتماعية مثل مسائل الأعراف والتقاليد[2].

فالأدب يهتم أيضا بالعالم الاجتماعي للإنسان، ومنه فالإنسان يتكيف مع هذا العالم وعلى هذا الأساس .فان الرواية تحاول إعادة خلق العالم الاجتماعي للإنسان من خلال علاقته بأسرته ومحيطه ومع القضايا السياسية السائدة بل وبالكثير من الصراعات المختلفة بين الجماعات والطبقات الاجتماعية .[3]

فهذا الأمر لا يمنع العديد من نقاد الأدب من أن يشهدوا أن الأديب الذي يقدم لنا أعماله الأدبية يتأثر بما يقع في مجتمعه من أحداث،" وعلى هذا نجد أن الناقد محمد زكي العشماوي يذكر أن الأدب يفسر العلاقة بين الذات والموضوع، فالأدب لا يخلو من عنصرين:

- العنصر الأول : ذات الكاتب
- عنصر ثاني: يكون خارج الذات من الوجود الإنساني وما يثوارته عن الماضي من تجارب.

[1] مدخل إلى سسيولوجيا الأدب العربي،محي الدين أبو شقراء ، المركز الثقافي العربي، ط1 ،2005 ص 45

[2] م.ن،ص46

[3] دراسات في علم اجتماع الأدب : أ.د أمل حركة. ، ص31.

فالناقد شوقي ضيف يتفق مع هذا الرأي حيث يقول: " إن فهم الحياة و الكشف عن حقيقتها لا تتحقق إلا إذا تفاعل الأديب مع مجتمعه و أمته أو مع مجموعة إنسانية." [1]

و منذ القديم شغلت هذه القضية بالكثير من النقاد كالقدامة بن جعفر و عبد القاهر الجرجاني حيث نجد عندهم إشارات نوحي بالربط بين الشعر و البيئات التي عاش فيها الشعراء .[2] فالشاعر مثله مثل الأديب أو أي فنان آخر، هم أبناء بيئتهم أولا و أخرا و فيها يشع إنتاجهم و يتدفق إبداعهم .[3]

و اليوم يكون حكمنا على الأديب الذي يعبر عن واقعه أو ينقل إلينا بعض صور هذا الواقع من خلال درجة صدقه و أصالته في نقل هذا الواقع, و ذلك من خلال رؤية خاصة تميز هذا الأديب عن الأخر.[4]

وعلى هذا النحو فالأديب طه حسين في كتابه المعذبون في الأرض ، صور لنا مشاهد عدة من الواقع المصري ، أدخل فيها عن عمد فقرات من الحديث المباشر بين الكاتب و قارئه.

و من الصعب جدا تصور خط أدبي يجري فيه الإنتاج وفق تصميم مفتعل ومسبق قبل أن تمهد التيارات مجراه ، فالفن دائما يهدف إلى الرضا و الإعجاب فهو يعتبر عمل موجه مرتبط بجهات التي يتوجه إليها، و فن الأدب بالذات مرتبط بالكلمة ، و الكلمة هي إنتاج الجماعة يكون حتما رسالة موجهة إلى جمهور معتمدة مفاهيمه و عواطفه و ذوقه و أماله.[5]

---

[1] دراسات في علم اجتماع الأدب : أ.د أمل حركة. ص32

[2] مدخل إلى سسيولوجيا الأدب العربي محي الدين أبو شقراء ص 56

[3] مدخل إلى علم الاجتماع الأدب سعدي صناوي . دار[3] الفكر العربي . بيروت .ط1 1994 ص11

[4] الأدب العربي الحديث ،أ.د محسن جاسم الموسوي ، أ.د بثينة خالدي ، المركز الثقافي العربي ، ص 32

[5] مدخل إلى علم الأدب سعدي صناوي ، ص7

وإذا كان الفنان يرى أحيانا أنه انفلت من سيطرة الجماعة ،ونفوذ البيئة و انه يهيم المطلق و يلامس اللا محدود ، و كذلك يدعي حينها انه إنما يغرد للطبيعة ويهيم في حناياها لا يهتم بالناس، و لا بحياة الناس لكن مهما سما خيال الفنان و مهما حلق بعيدا عن البيئة فهو يبقى مشدودا إليها بألف سبب و وتد .[1]

وعلى هذا الأساس فلا وجود لفن في حياة منعزلة و لا أدب خصوصا إلا في الجماعة ومن اجل الجماعة، ولا يمكن أن يتم إلا داخل الإطار الاجتماعي الذي منه انطلق الأدب و إليه توجه, "يعني باعتبار الأدب ظاهرة اجتماعية".[2]

و إذا أخدنا الأدب العربي نموذج للربط بين الأدب و المجتمع ، فشعراء العرب كان شعرهم مرتبطا ببيئاتهم الطبيعية منها و الاجتماعية و هو يدخل كعنصر أساسي و جوهري في التحليل البنائيلروح العصر .[3]

إذن هناك ارتباط وثيق بين الأدب و الحياة الاجتماعية، و لا يمكن تصور أدب من الآداب خاليا تماما من هذه الحياة و إذا أخدنا الشعر العربي كنموذج نجده مرتبطابواقعه الاجتماعي منذ القديم يتأثر به و يؤثر فيه ، فالأديب صورة للحياة الاجتماعية .يقول إبراهيم حمادة " و الأدب أنماط من السلوك اللغوي يقوم بها الإنسان لتعبير عما يريده كما يسجل أيضا ما يدور في مجتمعه .و الأدب وثيق الصلة بالإيديولوجيات لشدة تأثيره على جمهور القراء"[4] . فهو يقصد بأن الأعمال الأدبية مندرجة في واقع اجتماعي ، و تشكل بنيتها من خلال التصورات الجمعية.

[1] مدخل إلى علم الأدب سعدي صناوي ، ص 12

[2] مدخل إلى سسيولوجيا الأدب العربي محي الدين أبو شقراء ص 59

[3] م.ن ،ص 81

[4] م.ن ،ص 81

و هذه العلاقة الوثيقة بين الأدب و الواقع الاجتماعي هي التي دفعت النقاد الاجتماعين إلى البحث في هذه العلاقة و دراستها، ومحاولة تأصيلها متأثرين في هذا الباب بعلماء الاجتماع و ما قدموه من نظريات و بحوث في هذا المجال. و التفسير الاجتماعي للأدب إذ هو محاولة لفهم العمل الأدبي من زاوية المشكلات الاجتماعية و يكون هذا التفسير متجها إلى قضيتين هما:

1- هل هذه الأعمال الأدبية تعيد إنتاج المشكلات كما هي في المجتمع ؟
2- ما أهمية هذه المشكلات بالنسبة لأفراد المجتمع ؟

وعلى هذا النحو فالتفسير الاجتماعي يهتم بالقضايا التالية :

1- لماذا كتب هذا العمل ؟ لماذا أبدعه الأديب ؟
2- ما العلاقة بين هذا العمل مع غيره ؟
3- ما القيم الأساسية السائدة في المجتمع و التي تعكس هذا العمل ؟

إن دراسة و فهم ما كتبه الأديب و كيف استقبله القراء يمكن أن يساعدنا لفهمنا لعملية الاتصال الاجتماعي، علاوة على هذا يعتبر الأديب محورا أساسيا لدراسة التغير الاجتماعي و الثقافي. فمن الواضح أن الأديب يعبر عن هذه القضايا بأصدق تعبير، و لسنا مبالغين إذا قلنا أن ما كتبه نجيب محفوظ و يحي حقي ،يوسف إدريس كلها أعمال روائية أو مسرحيات تعكس التغيرات الاجتماعية في المجتمع المصري ابتدأ من أحداث ثورة 1919 حتى عقد الثمانينات .[1]

فيما يخص علاقة الرواية بالواقع الاجتماعي يرى غولدمان "Gold man ":« الرواية هي أكثر الأشكال الأدبية اهتماما بتصوير الإنسان في علاقته بالمجتمع باعتبارها أكثر الأعمال الأدبية واقعية ». فهو يرى أنه من الصعوبة فهم العمل الأدبي لهذا يرى أن هدف الكاتب لا يتلاءمع المعنى الذاتي لإنتاجه الأدبي ،لما هناك انفصال بين الأفكار و التجارب اليومية التي أدمجها الأديب في

[1]علم اجتماع الأدب،أ.د محمد سعيد فرج-أ.د مصطفى خلف عبد الجواد ،دار النشر عمان،ط20091 م- 1430هـ،ص24

أعماله.[1] و على هذا الأساس فالأعمال الأدبية ليست إبداعات عشوائية فهي من أثار من ابتدعها، و هذه الأعمال تكون متناسقة من الأفكار و المعاني لدى جماعة من البشر، فصلة بين هذا الثالوث (العمل الأدبي و الفرد و المجتمع)، تتضحأكثرفيالأعمالالأدبية.[2]

والعمل الأدبي هو تعبير عن رؤية العالم بحيث ينسجم مع الطبقة الاجتماعية،أي طريقة رؤية العالم الواقعي الحقيقي الذي يحتوي على مخلوقات و الإحسان بها. وعلى هذا المنوال صب الاهتمام حول الرواية أكثر بكثير ، فهي تجمع وصف الحياة النفسية " الداخلية" للفرد ليس فقط بتصوير الأواسط الاجتماعية ، بل أيضا تحليلات اجتماعية لهذه الأوساط بحيث يميل علماء الاجتماع دائما إلى تفضيل الأديب الروائي حيث أن مساحته المرجعية و التوثيقية أكثر وضوحا من القصيدة .[3]

وعند رولان بارت "Roland barthes":"أن الرواية عمل قابل لتكيف مع المجتمع ،و أن الرواية تبدوا كأنها مؤسسة أدبية تابثة الكيان ، فهي الجنس الأدبي الذي يعبر بشيء من الامتياز عن مؤسسات مجموعة اجتماعية ، وأن الرواية تعد العد شكلا من أشكال التعبيرالاجتماعي ".[4]

وعلم اجتماع الأدب إنما ظهر لتناول الأعمال الأدبية من زاوية اجتماعية محضا ، فهو يفسر هذه الأعمال خاصة القصة و المسرحية بناءٌ على مافيها من صور اجتماعية ومن بين اجتماعية تتحرك داخل العمل الأدبي ، وهو يحاول الإجابة عن السؤال :

- ينص على أن الرواية نص واقعي حيث تستوعب كتاباته إلى التوجه العلمي و المادي للطبقة التي يصورها والقوانين التي يتحكم فيها الواقع الاجتماعي، فأصبحت الرواية في العقود الأخيرة

[1] علم اجتماع الأدب،أ.د محمد سعيد فرج-أ.د مصطفى خلف عبد الجواد ص 36

[2] م.ن ، ص38

[3] النقد الاجتماعي ، بيرزيما ، ترجمة عيادة لطفي ، دار الفكر لدراسات و النشر و التوزيع – القاهرة ، ط1 1991 ، ص 123.

[4] في نظرية الرواية ،عبد الملك مرتاض ،1998، ص34

موجهة إلى جميع الفئات.[1] حيث ارتبط ظهورالرواية في مصر بصدور قصة زينب التي كتبها حسين هيكل . وثمة شروط اجتماعية سخرت لرواية شكلها فمهمة الرواية من وجهت نظر الروائيين هي تأريخ الحياة الخاصة تأريخا دقيقا و صادقا ، أي تصوير شخصيات المجتمع، وتصوير بأس الحياة الاجتماعية ، فالراوي في الرواية يعطينا التاريخ الواقعي مثلما فعل نجيب محفوظ في الثلاثية ، أو أولاد حراتنا،أو يوسف إدريس في الحرام ، هذا ما يدفعنا إلى التعلم أثر و أثر في تاريخ المجتمع المصري قبل ثورة 1919م ، فالرواية تعطينا صورا عن أنشطة الناس في أوضاع تاريخية و اجتماعية ، و تقدم لنا صورة عن مرحلة تاريخية ما مثلما صورة طبيعة القوى الاجتماعية المتصارعة ما عبر عنها نجيب محفوظ في روايته " ميرا مار " .[2] فالراوي يحاول تبرير الحياة الجديدة في المجتمع،فهو يصور لنا تغير القيم في المجتمع الجديد و يصور لنا حالة التدهور الأخلاقي و حالة الاغتراب ، التي تعاني منها بعد الشخصيات وصدمة مواجهة الواقع.

ويعد نجيب محفوظ من أشهر و أفضل من صور روئ الطبقة الوسطى في القاهرة خلال الثمانينيات فهو مصور بارع للواقع المعاش . و يعد التحول إلى كتابة الرواية تطورا مميزا في تاريخ الرواية المصرية فتطور الرواية عبر العالم تعكس إيديولوجيا معينة ، وظهور طبقة جديدة تتحكم في المجتمع ، وأحواله السياسية و الاجتماعية فهدف الراوي هو تجسيد الواقع مثلما فعل الروائيان (جمال الغيطاني و يوسف القعيد).[3]

وهذا ما لجأ إليه طه حسين في مجموعته القصصية التي عنونها ب"**المعذبون في الأرض** "، حيثلامست الواقع الذي عاشه, و عاشه الكثيرون في مصر أو خارجها من فقر و حرمان ومن صراع طبقي .

[1] علم اجتماع الأدب،أ.د محمد سعيد فرج-أ.د مصطفى خلف عبد الجواد ،ص48

[2] م.ن، ص50

[3] م.ن ،ص 51

الفصل الأول: المظاهر الاجتماعية في الكتاب

1- تعريف بالكتاب

2- مظاهر الاجتماع في الكتاب

أ – ظاهرة الفقر

ب –ظاهرة الفوارق الطبقية

ج- ظاهرة العادات و التقاليد

د – صورة المرأة

3- منهج طه حسين في معالجة هذه القضايا

1- التعريف بالكتاب:

أولا : عرض المضمون العام للكتاب :

المعذبون في الأرض للمؤلف طه حسين ، صدر هذا الكتاب سنة 1949م يحتوي على 191 صفحة ، يتكون منإحدى عشرة قصة ، بحيث تتعرض قصص هذه المجموعة إلى الحياة الاجتماعية المتمثلة في معاناة طبقة الفلاحين من الظلم الذي كان مسلطا عليهم في تلك الفترة ، إذ غالبا ما توفى أبطالها ، فقد أثرت بدورها على الواقع المصري و كان لها وقعا حسب بعض المؤرخين مما أدى إلى حجبها عن السوق ، إلا أن أعيدت طباعتها في بيروت " لبنان" في يوليو عام 1952 م ، فلجأ طه حسين إلى القصة للحديث عما يجول بخاطره .[1]

ثانيا :عرض محتويات الكتاب

- ✓ الكتاب لا يحتوي على مقدمة
- ✓ ابرز ما يتضمن الكتاب:

- قصة صالح : الصبي الفقير الذي فقد أمه وعاش يتيما،أبوه حسن الخلق طيب القلب سليم النفس ، و أمه شاذة الخلق سيئة العشرة ثرثارة لاترضى بشيء، لهذا لم يكن الحاج عليا أبصالح ظالما ولا جائرا حين طلق خديجة التي أنجبت له صالح بعد عام او عامين . لم يترك ابنه معها بل تفرغ لتربيته لكنه لم يستطع، لان ظروف الحياة لا تتطلب من الأب أن يبقى دون عمل ، لهذا قرر الزواج وفي نفس الوقت يحتاج صالح لمن يرعاه ، وكذلك اتخذت خديجة زوجا لنفسها ، و بعد زواج خديجة الثاني اضطرت لطلاق بعدما أنجبت غلاما اسمه سعيد ، فقد مل الأزواج منها ، فاختلطت عليها الأمر و جن جنونها فسميت خديجة المفرطة ، تربى سعيد في ظل جنونها ، بينما كان صالح ينشأ في ظل زوجة أبيه التي عوضته حنان أمه ، ومنحت له العطف و الحنان ، لكن بعدما رزقت بالبنين

[1] دراسات في علم اجتماع الأدب ، أ.د أمل حركة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2009، ص 21

ضيقت به ، ولصالح صديق اسمه "أمين " ، زار بعض الضيوف عائلة أمين ،و حاملين معهم الهدايا رأى صالح المنظر فانتابه الفضول للذهاب فزار صديقه بحجة اللعب و حاملا معه باقة من الزهور فقط من أجل الطعام ،وفي إحدى الأيام عندما كان صالح وأمين في طريقهما إلى الكتاب لاحظا منظر تجمع من الناس فذهبوا ليشاهدوا ماذا يحدث ، فإذا بجثة سعيد " أخو صالح من أمه " شطرت لشطرين اثر مرور القطار عليها ، و القي عليها ثوب يسترها و امرأة تبكي تضرب صدرها و وجهها ، الامرأة كانت خديجة لكن صالح لم يعرف أنها أمه و لا أن سعيد أخاه ، و في ذلك اليوم توفي صالح مساءا بنفس الطريقة ، و فقدت خديجة ابنيها في يوم واحد .[1]

- قصة قاسم : في هذه القصة يحاول طه حسين أن يحاور الحكومة المخادعة ، التي لا تسمع لمطالب الفقراء و المرضى ، فليست هناك إذا صاغية و لا قلوب رحيمة . فهو هذا السياق يسخر من الحكام الذين يعاملون شعبهم وخاصة الفقراء بالاحتقار . فشخصية قاسم هي ذلك الرجل الجاهل البائس المريض ، كان يلتمس من النهر يوميا ما يستعين به لجلب قوت ، يملك بيتا حقيرا ، وكان لقاسم بنت اسمها " سكينة" مغفلة ساذجة ، وفي وجهها جمال توشك تبهر الناظرين ، لولا بالفتاة من ضر و حزن وألم ، يمكن القول أن الفتاة كالعارية لا يستر جسمها إلا ملابس بالية ، وكان لقاسم أخو أخت ، أخت فاتنة لعوبة عابثة بقلوب الكثيرين من الشباب ، لكن تولت عليها الدنيا ، وأصاب جسمها الذبول لو لا أنها صادفت الحاج محمود كان رجلا يقيم في طرف من أطراف المدينة ، يملك الأراضي الزراعية ، اتخذ هذه المرأة زوجا " أخت قاسم " ، وكان قاسيا بينما رأى ابنة قاسم تستقبل الحياة بجمال و بأس اشتهى وطمع بجمالها و مال قلبه إلى هذه الفتاة ، منذ ذلك اليوم وهو يمد يد العون لهذه الأسرة البائسة .[2] لكنها ارتكبت خطأ مع زوج عمتها .

- قصة خديجة : نشأت في قرية و من أسرة بائسة فقيرة ، لكنها تميزت بوجه فاتن وصوتها حين تكلمت عذبا صافيا ، لم تكن تتكلم إلا القليل ، أمها تسمى " محبوبة "كانت تطوف

[1] المعذبون في الأرض ، طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط13 ،2008 ، ص14-42

[2] المعذبون في الأرض، ص42-65

بأهل القرية وتصنع لهم الخبز ، أبوها شعبان قد ورث عن أبيه مهنة البناء ، فكان بناءا متواضعا ،كانت خديجة تعمل في دار من الدور و كانت راضية بهذه الحياة ، تقدم شاب لخطبة خديجة صادق و محب و ملح في حبه و صدقه ، فاستقامت الأمور بين الأسرتين لكن في نفس خديجة كانت تلح عن الامتناع ، تركت العمل و تزوجت و قد احتفلت كلتا الأسرتين بهذا الزفاف ، لكن الحياء منعها عن أن تعامله كزوج لها ، فعندما أتت والدتها لزيارتها و الاطمئنان عليها صباحا في بيت زوجها ، فإذا بخديجة غادرت منزل زوجها متجهة إلى النهر ومصممة على الانتحار وألقت بنفسها في النهر. هكذا كانت القصة و ام الفتاة و والدها أصبحوا يتحضرون ويذبون حظهم السيئ التعيس.[1]

- قصة المعتزلة : طه حسين يهدي هذا الحديث إلى المترفين و اليائسين ، يتحدث عن الأم و بنيها الثلاثة الذين مسهم الضر قبل الوباء ، في هذا السباق يتحدث عن الوباء او العلة التي ألمت بمصر و أهلها و عن أم تمام ،فكان بينها حقير يتكون من غرفتين ضخمتين ، وكانت تمنع نفسها و بنيها من جيرانها حتى لا يعرفوا شيء عن أمرها ، فقد كانوا يعتزلون الناس اعتزالا غير مألوف ، فقد كانت قصيرة مسرفة في القصر منحنية مسرفة في الانحناء صوتها خافت ضئيل ، كان يعيش معها غلامان الأول يبلغ من العمر العشرين ، أما الثاني فكان يبلغ الخامسة عشر تقريبا ، كان يعملان في البناء ، ولأم تمام بنت في الثانية عشر او ثالثة عشر من عمرها تسمى " سعدى " ، وقد قررت الأم أن تغرق نفسها و ابنتها سعدى في القناة – النهر ، فتغرق الأم و تنجوا بنتها من الغرق، لكنها تخرج من الماء بلهاء ليس لها من عقل و لا نصيب من صواب.[2]

- قصة رفيق : تتمحور هذه القصة عن شخصية رفيق ، فهي قصة واقعية فطه حسين يحدثنا عن صديقه الذي كان يدعى " بالعفريت " ،حيث قضى معه طه حسين ، لكن اخدته المنية فترك في نفس الكاتب ألما و حزنا كبيرا فهو يقول : انه لن ينسى العفريت وهيهات أن ينساه .[3]

---

[1] المعذبون في الأرض ، ص 65-80

[2] مصدر نفسه ، ص 80-101

[3] م.ن ، ص 102 -120

- قصة صفاء: تدور الأحداث حول أسرتين:

الأسرة الأولى : تتألف من ميخائيل و زوجته حنينة و ابنهم نصيف و الابنة صفاء ، هذه الأسرة صرفت كل ما تملك فقط من اجل الابن نصيف لتعليمه حتى ينال منصب العمل .

الأسرة الثانية : تتألف من ثلاثة أشخاص المعلم يونان و زوجته مرجانة و ابنهما عبد السيد ، سعى المعلم يونان أن يعلم ابنه مهنته ليكون كاتب في دائرة ، فتقدم السن بالمعلم يونان و أصبح يحس بالضعف ، لهذا اضطرت مرجانة للعمل من اجل تحسين ظروف عائلتها . مع مرور الأيام أصبحت حنينة و مرجانة تلتقيان ، و السبب راجع إلى الضيق الشديد و الحرمان الذي عانت كل واحدة منه ، لهذا ازدادت الصلة بينهما وجعلت صفاء تلتقي بعبد السيد ، الذي كان يغدو صباحا إلى عمله في الدائرة فتمت الخطبة بين صفاء و عبد السيد ، وتمضي الأيام لكن تتزوج صفاء برجل غير عبد السيد و هو رجل غني و هذا الأمر راجع إلىأخيها لان هذا الرجل صديق أخيها ، فينتهي المطاف بعد السيد المحب الذي احتز القطار رأسه ، وتصبح صفاء كالزوجة المطلقة و تختار الفتاة أن تفصم زواجها الذي عقده القس و التي لا يقصها إلا الموت . [1]

- قصة خطر : يفتتح طه حسين قصته " لست ابغض شيئا كما ابغض إلقاء الدروس في الوعظ و الإرشاد وتنبيه الغافلين ، و إيقاظ النائمين و تحذير الذين لا يغني فيهم التحذير ولا التنذير ، وأنا مع ذلك مضطر إلى هذا شد الاضطرار أراه واجبا تفرضه الوطنية الصادقة ، وتفرضه الكرامة الإنسانية " . ثم يضع نفسه موضع المصطلح الاجتماعي يقول : " من الممكن أن يعيد النظر في نظامنا الاجتماعي كله فيما تجيء الدولة من الضرائب و فيما تمنح الدولة من المرتبات "، فطه حسين يعجب بالموظفين ،الذين نحيا أجسادهم و تموت أنفسهم فهو في هذا السياق يتحدث عن حال مصر وعن موظفي الدولة ، وما يعانيه الموظف في حياته من بأس و شقاء .[2]

[1] المعذبون في الأرض ، ص121 -149

[2] م.ن، ص150-156

- قصة تضامن : يتحدث عن شعور التعاطف والتآلف و التضامن الاجتماعي ، وعن المحنة التي كانت في مصر و الحجاز و الشام ، حتى تجاوز المسلمون هذه الأزمة ، وعن عام الرمادة وهو عام اسود بالنسبة للمسلمين و ما مسهم من جوع و قحط ، حيث بخلت السماء بالماء و عجزت الأرض أن تخرج للناس ما يأكلون و يطعمون ، ما كان عليهم سوى الصبر على الشدائد و الثبات للمكروه.[1]

- قصة ثقل الغنى : تدور الأحداث حول عبد الرحمان بن عوف رحمه الله ، كان كثير المال و الثراء حيث كان من الأولين الذين سارعوا إلى الإسلام و شرح الله صدره للإسلام ، فكان مضحيا في سبيله فهاجر إلى المدينة التي اتخذها النبي صلى الله عليه و سلم للإسلام دارا ، و قد آخى النبي صلى الله عليه و سلم بينه و بين رجل من أغنياء هو " سعد بن الربيع الخزرجي " رحمه الله كان عبد الرحمان بن عوف من أغنياء المدينة ، واستطاع أن يتزوج فيمهر امرأته ثلاثين ألفا، فكان يشفق على نفسه وأصحابه من اجتماع المال و تضخم الثراء ، فكان من اكبر الناس تصدقا ومن أسخاهم بماله .[2]

- قصة سخاء : يتحدث طه حسين عن طلحة بن عبد الله ، كان كثير الإنفاق على الفقراء ، فكان لايستقل يومه سعيدا ألا إذا انفق كل ماله، حيث باع أرضا له فلما حصل على المال قسمه على ذوي قرابته و ذوي مودته و ذوي الحاجة من المسلمين .و قد وعد الله الأغنياء إذا أنفقوا في سبيل الله مخلصين لا يبتغون رياء و لا شهرة ولا نفاق ، وان يخلف عليهم ما أنفقوا . فقد قتل وتعرضت ثروته لنفاد .[3]

- قصة مصر مريضة : يختتم طه حسين مجموعته القصصية للحديث عن بلاده " بلاده مصر " ، فمرض مصر يمكن أن يشبهه بوباء الكوليرا ، يتحدث عن الحزن و البلاء والشقاء الذي

---

[1] المعذبون في الأرض ، ص 156-164

[2] م.ن ، ص 165-172

[3] م.ن ، ص 173-182

حل بمصر ، هذا البلد الذي كانوا يرونه خليقا بالسعادة و الحرية والأمن و الاستقرار ، فهو يقصد بالمرض هنا الطبقة المثقفة التي أصابها الملل و الحزن والإحباط ، ويصل إلى آخر الحديث لحل مفاده أن مصر أمامها طريقتين لا غيرهما : إ{ إما أن يمضوا في حياتهم كما ألفوها ، لا يحفلون إلا بأنفسهم و لذاتهم و منافعهم ، و إذن فليتقوا بأنها الكارثة الساحقة التي لا تبقى و لا تدر ، وإما أن يستأنفوا حياة جديدة كتلك التي عرفوها في أعقاب الحرب العالمية الأولى قوامها التعاون و التضامن و إلغاء المسافات و الآماد بين الأقوياء و الضعفاء ، وبين الأغنياء و الفقراء }.[1]

[1] المعذبون في الأرض ، ص 182-191

2- مظاهر الاجتماع في الكتاب:

أ- ظاهرة الفقر:

برزت ظاهرة الفقر عند طه حسين ضمن المجموعة القصصية ، فجل القصص تحدث فيها عن هذه الظاهرة . فظاهرة الفقر لا تخلوا من أي دولة ، ولقد عرفها علماء الاجتماع بأنها مستوى معيشي منخفض لا يفي بالاحتياجات الصحية و المعنوية و المتصلة بالاحترام الذاتي للفرد أو مجموعة من الأفراد ، والفقر هو الحالة التي يكون فيها الفرد عاجزا عن توفير المتطلبات الغذاء و لبس و المأوى لنفسه. [1]

فطه حسين نقل لنا هذه الظاهرة في قصة صالح ، الذي نشاء في عائلة فقير و مسه الجوع ، فهذا الصبي لايملك حتى اللباس ، في قصة قاسم الفقير المعدم ، الذي لم يستطع أن يطعم عائلته من الجوع ، فالكاتب تحدث عن هذه الظاهرة بصورة كبيرة ، و الواضح أن المجتمع المصري كان مختلف عن الدولة العربية الأخرى ، قد مسه هذا المجتمع هذه الظاهرة بصورة بالغة ، ففي قصة خديجة حدثنا طه حسين حالة خديجة و أمها و ما عانياه من الفقر والجوع . تقريبا كل القصص تعرضت لهذه الظاهرة ، فطه حسين يختتم مجموعته القصصية ب" قصة مصر مريضة " ،من عنوان القصة نفهم أن مصر حل بها الفقر ، فطه حسين يقصد بالمرض هنا الفقر و الشقاء .[2]

ظاهرة الفقر تتسع في البلدان العربية ، وخاصة بالمناطق الريفية أكثر من المدن ، ويقود إلى تفشي الثقافة مما تؤدي في النهاية إلى التهميش و بالإضافة إلى عدم المساواة . وتتمركز هذه الظاهرة بصورة كبيرة في مصر و عمان ، سوريا و اليمن ، كما أن الفقر يرتبط بعدد من العناصر و لا صيم التعليم و الصحة ، فمعدلات الكتابة و القراءة بين الشباب و البالغين منخفضة تقريبا منعدمة و هذا

[1] اقتصاد الفقر و توزيع الدخل ، عبد الرحمن سيف سردار ، دار الراية لنشر و التوزيع ، عمان ، ط1 2015 ، ص 15

[2] المعذبون في الأرض ، ص 14

في مصر و اليمن .[1] وهذا ما وظفه طه حسين في قصصه ، ونجد هذه الظاهرة في قصة المعتزلة حين تحدث عن الفتاة الجاهلة " سعدى". [2]

وللفقر أسباب يمكن أن نحددها بناء عن ثلاثة أبعاد :

- أولا البعد السياسي: يساهم عامل التوزيع الجغرافي في التأثير على مستوى المعيشة ، من خلال تراجع في قلة الموارد المتاحة للأفراد نظرا لتركيبتها الجغرافية ، حين أن للعوامل الأمنية دورا مسببا للفقر و ما يعتريها من تغيرات كالحروب التي تأثر جذريا على العامل الاقتصادي ، بحيث يتوقف أي نشاط او استثمار في البلد ، و بالتالي تتراجع الموارد المتاحة لأفراد المجتمع مما يؤثر على مستوى المعيشة ، و من هنا تتفشى ظاهرة الفقر .[3]
- ثانيا البعد الاقتصادي : تتمثل في التقلبات و التحديات التي يساهم فيها التقدم العالمي والتطور على مختلف الأصعدة ، و الاستغلال الهمجي للثروات و ما يطرأ على هذا البعد الاقتصادي من تغير كظاهرة العولمة . كل هذه العوامل لها تأثير ايجابي و سلبي على أفراد المجتمع و مستوى معيشتهم .
- ثالثا البعد الاجتماعي : لطبقات أثر كبير في ظهور ظاهرة الفقر و التدني في المستوى المعيشي ، لأن ذلك يساهم في وضع خطوط حمراء في التعاطي مع معطيات الحياة كل و على حسب طبقته و مستواه .[4]

✓ ويترتب عن هذه الظاهرة أثار اجتماعية نذكر منها ما يلي :

1الفقر والفساد في العالم العربي ، سمير التنير ، دار الساقي بيروت لبنان ،ط1 2009 ،ص 59

2المعذبون في الأرض، ص 80

3اقتصاد الفقر و توزيع الدخل ، عبد الرحمن سيف سردار ،ص 17

4 المعذبون في الأرض ، ص 18

1- الأمية و الجهل و التخلف .

2- كثرة الأمراض ، حيث أن معظمة الأمراض يرجع سببها إلى سوء التغذية ، مما يؤدي إلى الإنهاك .

3- ارتفاع معدل الوافيات.

4- نقص الخدمات الصحية و السكنية .

5- التبعية الاجتماعية : حيث معظم الفئات الغنية لها القدرة على استغلال الفقراء لمصالحها السياسية و الاقتصادية ، و شراء أصواتهم لمكاسب سياسية .

6- هجرة العقول و العمالة إلى الخارج : هجرة العقول تدخل في الآثار الاجتماعية السلبية ، لأنها تؤدي إلى تخلخل الوضع الاجتماعي.[1]

و من الناحية الشرعية فقد نظر الإسلام لهذه الظاهرة و أعلن الحرب على الفقر و شدد عليه الحصار و حفظا للأسرة و صيانة المجتمع و سيادة روح الإخاء بين أبنائه ، من هنا أوجب الإسلام أن يحقق لكل فرد أن يعيش في مجتمعه ما يحيا به حياة إنسانية لائقة به توفر حاجة المعيشية من مشرب ومأكل و مسكن و ما يحتاج إليه ، ولا يجوز في نظر الإسلام أن يعيش فرد من المجتمع الإسلامي ،و لو كان من أهل الذمة جائعا أو عاريا أو دون مأوى .[2] و هذا ما تطرق إليه طه حسين في قصة تضامن ، حيث تحدث عن عمر بن الخطاب و ما حث المسلمين على تعاطف و تضامن اجتماعي ،و كذلك في قصة ثقل الغنى ، فعبد الرحمن بن عوف رحمه الله كان من أكثر المتصدقين على الفقراء ، وفي قصة سخاء نجد طه حسين تحدث عن طلحة بن العبد و ما أنفقه في سبيل الفقراء .[3]

1اقتصاد الفقر و توزيع الدخل ، عبد الرحمن سيف سردار ، ص 31

2مشكلة الفقر و كيف علاجها في الاسلام ، يوسف الفرظاوي، مؤسسة الرسالة لنشر ، بيروت ، طبعة جديد 1406هـ-1985م ،ص 37

3 المعذبون في الأرض ،ص 156

إن خفض الفقر في البلدان العربية من خلال و ضع برامج إنمائية خاصة تنسجم مع البيئة الثقافية و الاقتصادية ، و هذا الشرط ضروري للانتقال من الاقتصاد التجاري المتخلف إلى الاقتصاد المتقدم ، فان خفض الفقر ليس تقديم المعونات ، بل هي على الأغلب مرتبطة بالاعتبارات السياسية لتلك الدول . [1]

ب- ظاهرة الفوارق الطبقية :

الطبقة الاجتماعية حسب تعريف كنز بارك هي: مجموعة أفراد تقوم العلاقات فيما بينهم

على أساس المساواة و تقوم بينهم و بين جماعات أخرى على أساس التفاوت في مجال الحياة ، وما ينشئ عن ذلك من تفاوت في المقام يؤدي إلى ظهور الفوارق في السلوك و التعبير و في اللباس و العادات و التقاليد الاجتماعية ، يقصد بهذا أن الطبقة التي ينتسب إليها الفرد و دوره فيها هي التي تحدد قيمته في المجتمع .[2] إذن الطبقة ظاهرة اجتماعية عرفتها جميع الشعوب بدائية كانت أومتحضرة، فهي باقية و مستمرة بل و إن وضوح حقيقة الطبقات يزداد في حياتنا الخارجية.[3]

قد تطرق طه حسين في قصصه عن الفوارق الطبقية (الفقيرة – الوسطى – الغنية) . إن مفهوم الطبقة لدراسة ظواهر اجتماعية حديث إلى حد ما وقد ظهر هذا التعبير استنادا للمعاجم و الموسوعات ، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، و المقصود بالطبقة هو جمع الأشخاص وفق معاير الوظائف والشروط الاجتماعية المتشابه .[4]

فقد قام " تورغو "بتقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات :

---

[1] الفقر و الفساد في العالم العربي ، سمير التنير ، ص64

[2] مدخل الى علم اجتماع الأدب ، سعدي ضناوي ، ص 120

[3] المعذبون في الأرض، ص 117

[4] الطبقات الاجتماعية ، يانيكلوميل ، ترجمة د: جورجيت الحداد ، دار المطبوعات الجامعية ، فرنسا ، ط1 2008 ،ص 19

- طبقة الفلاحين : وهي الطبق المنتجة .
- طبقة الحرفين و سواهم من العاملين في منتجات الأرض.
- طبقة المالكين .[1]

يمكن تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات :

- الطبقة الفقيرة : و تسمى بالقادحة هي طبقة اجتماعية مختلفة عن الآخرين ، هي موضوع متكرر يتقاسمون نظام معتقداتهم و نمط سلوكهم و ينقلونها إلى أولادهم بفضل التنشئة الاجتماعية ، كانت متكيفة مع محيطها الخاص ، فمن الصعوبة استئصال الفقر ، فهناك قسم كبير من السكان يعيشون ظاهرة الفقر ، فكان يشار إليهم بالطبقة السفلية .[2] فظاهرة الطبقية لجأ إليها طه حسين في كتابه ، فمعظم القصص التي تحدث عنها إلا و مستها هذه الظاهرة و التي حلت بمصر و أهلا ، وما ترتب عنها من بأس و حزن .
- الطبقة الوسطى : هي أم الطبقات ، هذه الطبقة الشائعة تزعج علماء الاجتماع لعدة أسباب ، فهي توحي إلى إمكانية الترتيب من الأعلى إلى الأسفل ، بالإضافة إلى ذلك أن وضعية الطبقية مترافقة مع الطبقة الوسطى لا توحي إليها مباشرة مثل هذه التسمية بحيث أن كل الاحتمالات تشير إلى ما هو في "المتوسط "، ومما يعقد التفكير أن الطبقات الوسطى إذ وجدت في رهان بالنسبة لسياسيين و النموذج الأساسي الذي اقترحه ماركس كان يتضمن طبقتين متعارضتين ، بحيث لاحظ العديد من الجماعات الأخرى في مجتمع عصره لكنه صورها على أنها خلفية محكوم عليها بالزوال .[3]

[1] الطبقات الاجتماعية ، يانيكلوميل، ص 21

[2] م.ن ص 42

[3] م .ن ص 45

فطه حسين تحدث عن هذه الطبقة في قصة صفاء (تحدث عن الأسرتين ذات الطبقة الوسطى التي لم يظهر عليها الثراء و لا الضر ، فهي أسر ذات طبقة متوسطة و متواضعة).[1]

- الطبقة الغنية : هم المثقفون و سواهم من ممتهنين العمل الفكري ، فمن جهة ارتفاع مستويات التعليم يؤدي بصورة إليه إلى زيادة عدد المتمدرسين منهم الثانويين و الجامعيين .[2]

فالكاتب تحدث عن هذه الطبقة في قصة " رفيق " من كتابه المعذبون في الأرض ، هذه الأسرة من طبقة غنية يعيشون في رخاء ، حيث نقل لنا حتى المنزل الذي يعيشون فيه كم هو ضخم ، و الحياة التي عاشوها لم يواجهوا فيها لا شقاء و لا بأس ،كانوا مستقرين في حياتهم .[3]

جـ- ظاهرة العادات و التقاليد :

من عادات المصرين أنهم يميلون إلى الاستقرار و التمسك بأرضهم وقد عرف عنهم بالتسامح و التماسك، اعتمدوا على الزراعة في معاشهم وتأثير الطبيعة على معاملاتهم و علاقاتهم.[4]فالمجتمع المصري غير المجتمعات العربية الأخرى، فكانت الزراعة أهم أعمالهم يمارسها أغلب السكان إلى جانب الحرف اليدوية لكن بنسبة قليلة.وهذا ما حادثنا عنه الكاتب في قصصه فمعظم العائلات التي حدثنا عنها يشتغلون في مجل الزراعة فهم يحبون الأرض التي نشئوا فيها ، ففي قصة قاسم لجأ طه حسين للحديث عن الحاج محمود الذي يملك الأراضي الفلاحية يستغلها في استنبات البقول .[5]

[1] المعذبون في الأرض ص 121

[2] الطبقات الاجتماعية ، يانيكلوميل، ص 48

[3] المعذبون في الأرض ص 102

[4] علم اجتماع الأدب ، أ.د محمد سعيد فرح ، أ.د مصطفى خلف عبد الجواد ، ص 278

[5] المعذبون في الأرض ص 57

وكان الطابع المهني هو أن يتوارث الأبناء المهن عن أجدادهم، وكان من النادر في هذا المجتمع الذي تغلب فيه القيم الجمعية أن يعمل الابن في مهنة أو حرفة تختلف عن حرفة العائلة ، فمن الصغر يلقن على وراثة مهنة العائلة و حفظ أسرارها. [1] فظاهرة العادات و التقاليد تحدث عنها طه حسين كثيرا و مثال ذلك قصة صفاء ، حيث سعى المعلم يونان أن يعلم ابنه مهنته ، ليكون كاتبا قي الدائرة كما كان يعمل هو .

[1] علم اجتماع الأدب ، أ.د محمد سعيد فرح ، أ.د مصطفى خلف عبد الجواد ،ص 271

د- صورة المرأة :

احتلت صورة المرأة عند طه حسين مكانة بارزة، فقد خصص لها حيزا كبيرا في هذه القصص ، حاول أن يكون واقعيا في نقل صورة المرأة المصرية الريفية فهي المسؤولة عن شؤون البيت كما أنها اضطرت إلى العمل من أجل أن تعين زوجها . ففي قصة قاسم صور الكاتب المرأة "أمونة " العاملة التي عانة من البأس و الشقاء و الفقر ، مما وجب عليها الخروج للعمل لمساعدة عائلتها . كذلك في قصة خديجة ، حيث صور لنا الكاتب الفتاة خديجة و أمها و ما عانتاه من قسوة الحياة ، حيث اضطرت الاثنتين للعمل في دار من الدور من اجل كسب قوت عيشهم .[1]

والمرأة هي الأم و الزوجة و الأخت وهي المدرسة الأولى، وصلاح البشرية مرتبط ارتباطا وثيقا بها .[2]

وإذا رجعنا إلى السنة النبوية فإننا نجد في أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم أنه على المرأة رعاية زوجها و بيتها ، عن عبد بن عمر رضي الله عنه قال : سمعت الرسول صلى الله عليه و سلم يقول :{ كلكم راع و كلكم مسؤول عن راعيته ، الإمام راع و هو مسؤول عن راعيته و الرجل راع في أهله و هو مسؤول عن راعيته و المرأة راعية في بيت زوجها و هي مسؤولية عن راعيتها ، و الخادم راع في مال سيده و هو مسؤول عن راعيته } . و في حديث انس عبد الطبراني :{ و المرأة راعية لحق زوجها و مسؤولة عن بيتها و ولدها }.[3]

---

[1] المعذبون في الأرض ص 42

[2] صحيح البخاري ص2409

[3] م.ن ص 7

وإذا نظرنا إلى صورة المرأة في المجتمع المصري الحديث على وجه الخصوص ، أنها عاشت و ترعرعت داخل الأسرة القديمة تابعة لرجل ، حرمت من التعليم . و الواضح أن المجتمع المصري الريفي لم يكن من المجتمعات العربية في تلك المرحلة ، فدور المرأة كان محصورا في البيت و العمل في الخارج ، لكن ليس بالعمل الراقي .[1] ففي قصة صفاء نقل لنا الكاتب صورة المرأتين حنينة ومرجانة حيث اضطرتا للعمل و السعي جاهدتان لمساعدة أزواجهن ، فكانوا يشترون من أهل القرية ما يريدون بيعه من الجبن و الزبدة ، ثم يطوفون ببعض البيوت فيبيعون بما يتيح لهم من ربح.[2]

هكذا عاشت المرأة المصرية في بيئة منزلية و اجتماعية يسود فيها الجهل و انتشار الأمية ، حتى العقد الثالث من القرن العشرين ، تغير الأمر و انحصر تعليم المرأة في بعض الأسر الراقية على يد معلمة تعلمهن الأشغال اليدوية و الفنون المنزلية ، و أحيانا كانت ترسلن هذه العائلات بناتهن الى بيت المعلمة .[3] و هذا ما تطرق إليه طه حسين في قصة صفاء ، حيث طمعت حنينة أن ترفع ابنتها عن المنزلة التي قسمت لها في هذه الحياة ، فأرسلتها إلى المعلمة لتتعلم عندها فنون من التطريز و التأنق و التفصيل و صناعة الأزياء .[4]

فإذا كان طابع المرأة هو بقاؤها في المنزل ، فان بعض نساء الطبقات الفقيرة كان يخرجن للعمل و السعي وراء رزق الأسرة ، و يكافحن مثل أزواجهم ، و يساعدهن الأزواج لتوفير العيش لأسرهن ، و انحصرت أعمال نساء الطبقة الفقيرة في فتح الحوانيت لبيع الخبز ، والعمل في البيوت أو مع الحاجات النسائية من خلال التجول من بيت لأخر ، بدلا من أن تذهب النسوة الى المتاجر .[5] وهذا مارأيناه في قصة قاسم و خديجة و صفاء.

---

[1] علم اجتماع الأدب ، أ.د محمد سعيد فرح ، أ.د مصطفى خلف عبد الجواد ،ص204

[2] المعذبون في الأرض.ص 121

[3] علم اجتماع الأدب ص 205

[4] المعذبون في الأرض ص 127

[5] م.ن ص 210

فلا يمكننا أن ننكر قيمة المرأة الاقتصادية داخل الأسرة في تلك الفترة ، رغم الجهل الذي عايشته ،فكانت حياة نساء الطبقات الوسطى و الفقيرة حتى أواخر القرن الماضي تدور حول خدمة أعضاء الأسرة من صناعة الخبز و تجهيز الطعام و تنظيف البيت .[1]

و يرى الدكتور محمد سعيد فرح أنه لم يكن لها اعتبار, وأن ولادة الأنثى ماهي إلا خسارة تحل بالأسرة ، بحيث فضل المصريون المولود الذكر ، أما الأنثى فهي مدعاة للعار .[2] هذا ما صوره طه حسين في قصة فاسم ، حيث جلبة سكينة العار لأبيها فقال قاسم : " ما ينبغي للفقراء أن يلدوا البنات ".[3]

طه حسين و في مجموعته القصصية عرض لنا صورة المرأة و ما عانته من قساوة الحياة، فالمرأة المصرية و خاصة الريفية عاشت الفقر و البأس و الشقاء والحزن . وفي حديثنا عن المرأة لا ننسى أنها كرمت ة خصص لها يوم 8 مارس من كل سنة عيد و هو يوم عالمي للمرأة ، في حين أن الإسلام كرم المرأة و وضع لها مكانة كبيرة و قيمة ، وأمر الرسول صلى الله عليه و سلم في حجة الوداع بحسن معاملتهن ومعاشرتهن بالمعروف .

[1] علم اجتماع الأدب ، أ.د محمد سعيد فرح ، أ.د مصطفى خلف عبد الجواد ، ص 211

2م.ن ص 204

3 المعذبون في الأرض ص 43

3- منهج طه حسين في معالجة هذه القضايا :

الى جانب البيئة التي نشأ فيها طه حسين هناك عوامل أخرى ساعدت على تكوينه تكوينا اجتماعيا ، فمن هذه العوامل تأثره بثلاثة من الفكريين المصرين هم : " الإمام محمد عبده " و " الأستاذ قاسم أمين " و "أستاذ احمد لطفي السيد " ، هؤلاء الثلاثة لاقوا معارضة من الأذهان المتمسكة بالقديم ، لكنهم لم يبتعدوا عن اتجاهاتهم التي أمنوا بها و خاضوا بها أشرف المعارك .[1] وعن فكر طه حسين فهو مزيج بين الحضارتين حضارة الشرق – حضارة الغرب ، و عصارة طيبة من معدين مختلفين " الأزهر الشريف و جامعة باريس " و هذا الاحتكاك بين الحضارتين العظيمتين لابد وأن ينتج عنه فكر جديد، هذا هو الفكر الذي جاء بيه طه حسين من أوروبا ، يعرف بالمنهج **الديكارتي في البحث** ، و اختيار طه حسين هذا المنهج في البحث له أكثر من دلالة ، فهذا المنهج كما يقول صاحبه ديكارت :{ قواعد مؤكدة تعصم ذهن الباحث من الوقوع في الخطأ و تمكنه في بلوغ اليقين في جميع ما يستطيع معرفته دون أن يستنفد قواه في جهود شائعة } ، هذا النهج يتمشى مع طه حسين في نظرته للأشياء و إعجابه الشديد بديكارت .[2]

وهناك شبه يجمع طه حسين و ديكارت ، حيث كلاهما حاربا جهالة العصور الوسطى فهذا الاتجاه هو الذي تبدأ به الحياة الفكرية ، التي تقوم على العقل لدى أي قطب من أقطاب النهضة الفكرية في أي مجتمع كان .

و اختيار الدكتور طه حسين الفيلسوف أبو علاء المعري و ابن خلدون لرسالتي الدكتوراه في الجامعة المصرية و جامعة السيريون لا يخلوا من دلالة ، و يعني هذا أن أبو العلاء المعري ينشر أرائه في مصير النفس و متاعب الحياة و السعادة واللذة و الألم وفي الشك و اليقين ، وهو أيضا شاك و كذلك ابن خلدون شاك أيضا ، فهو ينظر الى المجتمعات على أنها تختلف و تتشابه و أن المؤرخ لابد أن يلم بطبائع المجتمع . لا

[1] ماذا يبقى من طه حسين ، د /سامح كريم ، دار القلم بيروت / لبنان ، ط2 1977 ص 145

[2] م . ن ص 146

شك أن طه حسين من قريب أو بعيد ، فهو لم يكن شاكا و لكنه و لا بد أن يصير كذلك ، و خاصة أن منهج الشك يعتبر من المناهج الفكرية التي تغري استعمالها في البحث .[1]

كان شديد التأثر بظروف الأستاذ دور كيم في علم الاجتماع ، و كان الأستاذ دور كيم الذي اتفق عاما كاملا يدرس لتلاميذه مذهب الفيلسوف الفرنسي سان سيمون ، الذي يقوم على أساس الحكم الصالح . هذا ما يجعلنا نعتقد أن طه حسين تأثر بعلماء الاجتماع ، وكانت لهذه المبادئ و الأفكار أثر كبير في حياته العلمية ، حيث جعلت له خلفية من التفكير بوجه عام ، و التفكير الاجتماعي بوجه خاص . و بالرغم من تأثر طه حسين بالغرب و إعجابه الشديد بالحضارة الغربية ، إلا أنه اعترف بأن لها عيوب لا تنكر .[2]

و برز منهج الشك في المحاضرات التي كان يلقيها في الجامعة ، كما برز في كتاباته في الصحف و المجلات ، انه منهج جديد منهج الشك في كل شيء حتى يثبت اليقين .

لكن هل هذا المنهج الذي اتبعه طه حسين قي كتاباته أعتبر منهجا أصيلا ، أم انه دخيل بعد صفره إلى أوروبا و تعرف على فلسفة ديكارت ؟ هل هذا المنهج جلب له التهم الى حد انه اتهم في دينه ، أم انه منهج أوروبي و فقط؟ ، هل كان طه حسين يدعوا إلى التشكيك في الموروث الأدبي و الفكري ؟

في الحقيقة المنهج الذي اختاره طه حسين ليس دخيلا ، و لا يمكننا القول أنه اقتبسه من الفيلسوف ديكارت ، فهذا المنهج من أقوى منهجنا الأصلية في البحث و التفكير ، فالجاحظ دافع عنه و أمن به و هو قبلا ديكارت بسبعة قرون ، وجعله وسيلة من أهم الوسائل للوصول الى درجة اليقين العلمي ، فهو يشك و يدعو إلى الشك ، ففي كتابه " الحيوان " الجزء السادس خص فصلا

1 ماذا يبقى من طه حسين ، د /سامح كريم ، ص 147

2م.ن.ص 148

عن الشك و اليقين يقول فيه : { .... بعد هذا فأعرف مواضع الشك و حالاتها الموجبة لتعرف بها مواضع اليقين و الحالات الموجبة له ،و تعلم الشك في المشكوك فيه تعلما ، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف قبل التثبت لقد كان ذلك مما يحتاج إليه ثم اعلم إن الشك في طبقات عن جميعهم ، ولم يجمعوا على إن اليقين طبقات في القوة و الضعف ....}.[1]

إذا فالمنهج الذي دع إليه طه حسين لم يكن مستوحى من مفكري الغرب ، و لم يكن داعيا به إلى التشكيك في معتقد اتهام بعض الناس له، لكن الهدف الأساسي ماهو إلا دعوة لإقرار روح منهج جديد ، ومع ذلك فان القيمة المنهجية التي اختارها طه حسين تجلت فيما بعد و أصبحت تطبق في الميدان الجامعي لدى طلاب الدراسات العليا .[2]

إن الكثيرون الذين اعتقدوا أن طه حسين استوحى عمله من أعمال ديكارت الفيلسوف الفرنسي المشهور ، و ذلك من خلال كتاب "الشعر الجاهلي " . فصلة طه حسين بديكارت كانت عابرة حيث انه كان يريد الاتصال بالحضارة الأوروبية الحديثة جوهرها الأساسي النقد ومظهرها الرأس مالية .[3] فالمقصود هو الوعي النقدي الغربي الحديث و ليس ديكارت و أعماله ، فلم تكن قضية المنهج هي من أهم القضايا التي شغلت طه حسين ، فالمحور الأساسي هو كيفية كسر عمود الفكر العربي ،وفي حين أنه ليوجد منهج ديكارتي ،فهذا لا يدعنا أن نلصق بطه حسين أي منهج فالشك يعود القاعدة الأولى فيما يسمى بمنهج ديكارت .[4] فطه حسين لم يتأثر بمنهج ديكارت ، لأن الشك عند ديكارت يقوم على المنهج وليس جوهر المنهج ، بل و إنما استوعب الروح النقدية بل و أنما استوعب الروح النقدية لثقافة الغربية الحديثة و الحضارة الغربية لمعاصرة .[5] فالمنهج المستعمل في كتاب

1 ماذا يبقى من طه حسين ، د /سامح كريم، ص 62

2م.ن.ص 63

3 معرفية النص ،د/ وائل غالي ، دار الثقافة لنشر و التوزيع ، القاهرة ،1980،ص20

4م.ن.ص 21

5م.ن.ص23

" الشعر الجاهلي " ليس بالمنهج الديكارتي (الشك) ، و إنما المنهج التاريخي المقارن ، و الذي يقوم على اتصال العرب بباقي الشعوب الأخرى ، فهذا المنهج يقوم على التواصل بين الحضارات .[1]

فقوام فكره الشك الفلسفي و أسلوبه التكرار و منهجه التضاد،هذا لا يعني أنه التزم بصورة واحدة أو تبنى منهجا واحد ، لكنه اعتمد على غاية واحدة و أن تكن الصور و الوسائل و الأساليب إليها متغيرة دائما في عقله و نفسه ، و يخفيها و لا يكشفها بسهولة ، و يسير دائما على نحو جديد.[2]

يقول العقاد : " أن طه صحيح الأصول في النقد و لكنه لا يوفق بين أصوله و طبيعته في كثير من الموضوعات ، و هو حين يقرر المبدأ على صواب غالب ، و لكنه حين يطق المبدأ ينحرف أحيانا على الصواب ، أليس الدكتور يوصي بمنهج الشك أو مذهب ديكارت ، بلى ، و لكنك حين تقرؤه ترى له عبارات من التوكيد و اليقين ، فلا تراها في عبارات الشاكين المترددين ، فلا يعجب أكبر ما يعجب إلا اشد الإعجاب ، أوإعجابا لا حد له ، ولا يقنع بما دون الإسراف ... و لا يتكلم إلا بصيغة المبالغة في معظم الأحيان ثم ينتقل من هذا إلى التشكيك يذكرك إن شاء الله " [3].

ومن سمة طه حسين الاستعلاء على المناهج و القراء ، هذا ما ذهب إليه في كتابه المعذبون في الأرض .ضع قصة تخدع ل أصول الفن ، ولو كنت أضع قصة لما ألزمت اخدعها لهذه الأصول لأمي لا أؤمن بها ولا أذعن لها ولا اعترف بأن لنقاد مهما يكون أن يرسموا لي القواعد و القوانين مهما تكن ، ولا أقبل القارئ مهما ترتفع منزلته أن يدخل بين و بين ما أحب أن أسوق من الحديث ، و أن هو الخاطر يخطر فأمليه ثم أذيعه فمن شاء آن يقرأه ، فل يقرأه ، و من ضاق بقراء تهف لينصرف عنه " .

---

[1] حوار الأجيال ،د: حسن حنفي ،دار قباء / القاهرة ،1998،ص32

[2] طه حسين حياته و فكره في ضوء الاسلام ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، ط2 ، 1397هـ-1977م ،ص 141

[3] م.ن ص152

محمود عبد المنعم معلقا على ذلك : " انه بضع نفسه فوق النقد، لا يحب أن يسمعه و لا يعترف به ، ولا يريد أن يقيم له وزنا ، و لماذا لأنه يريد أن يكون حرا فيما يكتب و يذيع على الناس ، و كيف يكون بنى طه حسين مجده الأدبي ، ألم يكن ذلك على حساب غيره من الأدباء القدامى المحدثين على السواء ، بخيل أن الذي ألجأ إلى هذه الثورة الغاضبة على النقاد و القراء هو إحساسه في ذلك الموضع في كتابه أنه معرض لنقد فأراد أن يقطع الطريق على هؤلاء النقاد ."

و يقول عبد الحميد جودة السحار : " أن طه حسين يشبه السقاء ، فهو يحمل أبطال فصصه على ظهره و يقف منه كناظر المدرسة لا يسمح لهم بالكلام إلابإذنه ." [1]

فهو يمكن أن يكون موضع ثقة القارئ، فيقبله القارئ بصدق غاو مجرد كتابات ساخرة كلها عبس و استعلاء، وهل يستطيع الباحث أن يثق فيما يقول الدكتور و هو داعية الشك في الأدب العربي المعاصر. فالشك ما هو إلا إستراتيجية لاكتساب المعرفة ،فلا يوجد يقين إلا وكان قبله شك ، و هذا ما طبقه طه حسين في مجموعته القصصية المعذبون في الأرض ، كان يميل إلى الشك في الكثير من الأمور ، لكن سرعان ما ينكر ذلك و يردد الحمد لله على كل حال .

كما رأينا هذا في قصة صالح ، يقول طه حسين : " وأكبر الظن أن صالح هذا لم يوجد قط لأنه يملك المملكة المصرية ".

أما أمين فهو موجود من غير شك لأننا نراه ولا نكاد نرى من غيره .

وما أشك في أن القارئ سيقف عند هذا الموضع من الحديث و يسأل نفسه ولو استطاع لسألني أنا.

1طه حسين حياته و فكره في ضوء الاسلام ، أنور الجندي،ص175

ولست أشك في أن القارئ سيضيف إلي هذا السؤال ملاحظة فيها شيء من القسوة و السخرية.

الشيء الذي لا أشك فيه و لا ينبغي أن يشك به القارئ هو أن صالحا لم يكن يتيما.

سواء رضي القارئ أو لم يرضى فقد كانت أم صالح حية من غير شك .

فطه حسين تمتع بالحرية الذاتية في أن يحكم أو لا يحكم دون أي إجبار ، فهو يرفض الانحياز إلى إحدى النقيضين ، فكرر هذا في قصة قاسم وقال قاسم في صوته الخافت المريض و ما أشك في أن السيدة ستسر بهذا الصد ، وما أشك أنكم ستتخذون منها ألوان مختلفة وما أرضى أن ترسلوا لي لوما واحدا . و في قصة المعتزلة قال : قد يظن القارئ أني أسرفت في البعد عن هذه الأسرة المعتزلة ، والحمد لله على كل حال ، وسيرى قارئ أن صورة أم تمام ليست مني في شيء فيدله ذلك من غير شك على إني اخترعتها و لم ابتدعها .

فجميع قصصه لا تخلوا من هذه الظاهرة ففي قصة رفيق قال: ولم يكن شك في أنه ضابط تركي قديم من ضباط الجيش .

و أيضا في قصة صفاء وليس من شك أن مرجانة لم تنعم بما لاحظت من سهو ابنها و لهوه و غفلته.

وفي قصة خطر : الذي ليس فيه شك هو أن هذا الموظف من موظفي الدولة والشيء الذي ليس فيه شك أن هذا الموظف ليس وحيدا.[1] لكن حين نتمعن في القراءة نرى أن لطه حسين عبارات من اليقين و التوكيد.

[1] المعذبون في الأرض ص 14-156

فكان متلقحا بالمناهج الأوربية ، صاحب الأسلوب الجديد و الشخصية التي فرضت وجودها ،يبدوا وكأنه أحيانا ميلا لشك[1]، و هذا ما رأيناه من خلال قرأتنا لكتابه المعذبون في الأرض.

[1] طه حسين رجل و فكر و عصر ، أحمد علبي ، دار الآداب – بيروت ، ط1 1985، ص 325

الفصل الثاني:القيم الجمالية والفنية لهذا العمل.

1- المكان و الزمان في الكتاب .

2- الشخصيات.

3- أسلوب الكتاب .

1- المكان و الزمان في الكتاب :

أ- تعريف المكان :

- **لغة** : يقول بنمنظور المكان : الموضع و الجمع أمكنة و أماكن جمع العرب تقول : كن مكانك وأقعد مقعدك قد دل على أنه مصدر من كان أو موضع منه ، وإنما جمع أمكنة، فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية .[1]

- **اصطلاحا** : يقول ياسين النصير : المكان عندي مفهوم واضح، يتلخص بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان و مجتمعه و لذا شأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية و أفكار ساكنيه ، يعني المكان محمل أخلاقيا و اجتماعيا فهو لا يعتبر مساحة الحياة وفقط .[2]

ويقول ياسين النصير في كتابه " إشكالية المكان في النص الأدبي " اهتم به الفلاسفة مثل : أرسطو و أفلاطون و إقليدس و قد اهتم به المفكرون المعاصرون ،اللغويون و النقاد ، وقد ميز بعضهم بين المكان النفسي و المثالي، و ميز بين المكان المطلق و النسبي.[3]

المكان هو العنصر الحيوي الذي يقوم عليه العمل الأدبي، فهو العمود الفقري ،يربط بين العمل الروائي ببعضه البعض، فلا يمكن تصور أي حكاية كانت بدون مكان فهو أساسي في الأعمال الروائية فيقول محمد بوعزة " لايمكن تصور حكاية بدون مكان ، فلا وجود لأحداث خارج المكان ، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان و زمان معين ". [4]

1أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم بن منظور ، لسان العرب مج 13 ، دار صادر ، بيروت ط 1 ،2010 ، ص 99

2ياسين النصير : الرواية و المكان ، دار الشؤون الثقافية العالمة ، بغداد 1986 ، ص16

3أسئلة الفكر و فضاءات السرد ، دراسات نظرية و تطبيقية في الرواية العربية المعاصرة ، أ.د : محمد صالح الشنطي ، عمان ، مؤسسة الوراق ط1 2013 ص401 .

4 محمد بوعزة : تحليل النص السردي ، تقنيات و مفاهيم ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون الجزائر ط1 2010 ، ص 95

و لفظة المكان وردت في القرآن الكريم كقوله تعالى :{ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانا ضَيِّقا} سورة الفرقان الآية 13[1]

وقوله أيضا :{ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ} سورة الأنعام الآية 135 [2]

وقوله أيضا : { وَاذْكُرْ فِي اِلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ اِنتَبَذَتْ مِنَ اَهْلِهَا مَكَانا شَرْقِيّا} سورة مريم الآية 16[3]

وعند ابن سينا فالمكان هو ما يكون الشيء مستقرا عليه أو معتمد عليه أو مستندا إليه .[4]

فالمكان هو ذلك المرآة التي تعكس على سطحها صور الشخصيات ، ويتم من خلاله الكشف عن البعد النفسي و الاجتماعي للشخصيات ، فهو يساهم في رسم الشخصيات بمظهرها الجسدي ، ولباسها و سلوكها . [5]

وللمكان : دور مهم ،لأن الأعمال الأدبية الحكائية هي الشخصيات في أمكنة تحاكي الواقع ، فالمكان فيها يعتبر أساس العمل ، شكله و هدفه في آن واحد تصبح الأرضية التي يقوم عليها القاص بناءه . وأول مايظهر حضور المكان و هيمنته هو الوصف ، خاصة إذ يحتل وصف المكان المقام الأول في تقنية الوصف القصصي ، لما للمكان من أثر في تشكيل البنية التحتية للقصة ،

---

[1] سورة الفرقان الآية 13

[2] سورة الأنعام الآية 135

[3] سورة مريم الآية 16

[4] ابن سينا : حنان محمد موسى حمودة : الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، أحمد عبد المعطي حجازي أنموذجا ص19

5 عبد المنعم زكريا القاضي ، البنية السردية في الرواية، دراسة نقدية في ثلاثية خيري شلبي لدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية ، الهرم ط1 2009 ،ص 138

فهو الأرضية التي تجري عليها أحداثالقصة ، فغياب الأرضية (المكان) لن توجد القصة و إن وجدت فلا يكون لها معنى و قيمة .[1]

فالمكان هو أحد مكونات النسيج الداخلي للقصة ، بحيث أي عمل حكائي يتجسد من خلال (الأفعال و القواعد و الزمان و المكان) إذ أن هناك أفعالا تقوم بها الشخصيات في زمان و مكان معين ، و يمكن أن يكون المكان الأقصوصة أكثر حيوية و خصوبة فقد يسلط القاص الضوء على الأماكن التي تجري فيها الأحداث ، معتمدا على وصف أجزائها و حقائقها،و ذلك حسب موقف القاص منها .[2]

لهذا سعى معظم الكتاب الى خلق أمكنة في قصصهم تتميز بخصوصية إنسانية ، بصورة واقعية تتلاءم مع تشكيل رؤية واضحة ، دون الوقوف عند حدود الحاضر بل و إنها تتعدى إلى أعماق الماضي .[3]

المكان هو مكون أساسا في بنية الخطاب الروائي و تظهر أهميته في بلورة نص روائي متميز ، فالمكان معطى سيميوطقي يتغلغل في عمق الكائن الإنساني يقدر ما يمتاز من الوضوح و يركن إلى الغموض و المجهول ، ويعتبر علامة لقوته في المحل الذي يحل فيه و يتموضع ، ويحدد أبعاده .من هنا فالمكان يعد مفتاحا من مفاتيح قراءة النص الروائي بحكم علاقته بمكونات النص الروائي . ويبرز تأثيره على الشخصية الروائية ، لذا لا توجد غرابة أن يحدد المكان طبيعة النص الروائي و المكان من ضروريات الخطاب الروائي ، إذا يغدو داخل الخطاب الروائي مظهرا تخيليا و هو الذي يجعل القارئ يعيش مع هذه الأمكنة بحيث يدركها و يبصرها في خياله .[4]

---

[1] السرد و نبوءة المكان ، جعفر الشيخ عبوش ، عمان ، دار غيداء، ط 1 2015م – 1436 هـ ، ص41

2 السرد و نبوءة المكان ،ص 42

[3] م.ن ، ص 43

[4] م.ن ،ص 48

فالرواية هي نوع يفصح منه المجتمع عن نفسه إذ تقوم بخلق عالم تنطوي مظاهره على منظومة دلالية و تتفكك فيه نماذج معقولية ،لأن التوقعات التقليدية في حالة الرواية تمنح الانزياح فاعلية أكثر، لهذا فالأدب قائم على الانزياح و المكان ينزاح مع خصوصية الطبيعة و كلما كان المكان منزاحا على الأرض .[1]

إن وصف المكان يعد تقنية إنشائية تتناول وصف أشياء الواقع ، وهي نوع من أنواع التصوير ، فيتمتع المكان في الرواية ويتعدد و يتنوع عند الروائي بوصف الأمكنة وتعددها ،كما أن إمكانية الوصف و أسلوبه في تحديد أبعاد المكان تمكن الكاتب من نقل القارئ من مكانه إلى أي مكان يريده. مما يتيح للقارئ التحرك من مكانه إلى مكان آخر .

ويتبنى الدكتور عبد المالك مرتاض (الحيز) بدل المكان لأن المكان جغرافي من وجهة نظره و الحيز ينصرف الى الرواية ، فالحيز عند مرتاض اكبر من الجغرافية و أوسع بعدا وهو امتداد ، و ارتفاع ،و انخفاض ، وهو طيران و تحليق ،و غوص في البحار أما الجغرافية ما هي إلا وصف المكان الموجود لا المفقود أو المنشود ، وهناك من يرى أن الفضاء الجغرافي هو الحيز المكاني الذي يؤطر الرواية .[2]

فطه حسين في مجموعته القصصية وظف المكان و وصفه بالوصف الدقيق فهو الأرضية التي أقام عليها طه حسين قصصه فلا قيمة للأعمال الأدبية دون مكان ،كل هذه القصص كانت في الريف المصري فطه حسين نقل القارئ من مكانه إلى المكان الذي يريده هو حيث كان أسلوب رائع في وصف الأمكنة ففي قصة صالح صور لنا المكان الذي كان يلعبان فيه الصبية حيث قال :" وقد كان الصبي خالص النية صادق الرأي ، قد اتخذ مرقبه في زاوية من فناء الدار هنالك حيث تجتمع قطع من الحديد " ، " قد جلس في زاويته تلك أمام حديده ذاك ولم يدعهما حين بلغا ذلك المكان الذي يمتد فيه الخطوط الحديدية من الشمال الى الجنوب و من الجنوب الى الشمال ."

[1] السرد و نبوءة المكان ، ص 48

[2] السرد و نبوءة المكان ،ص 51

كذلك قصة قاسم حين قال : "ثم يعود بعد ذلك الى البيت فيلقيه بين يدي أمونة إلقاءا و يسعى متخاذلا متمالكا إلى حصير بال رثقد ألقي في ناحية من نواحي الدار."

"و أخدت تكنس كل يوم فناء الدار و ترده إلى هيئته التي ينبغي أن يكون عليها فتصفف الكراسي في أماكنها ، و تنفض التراب عن تلك الدكة الطويلة التي كانت تمتد في صدر الفناء" ، و في نفس القصة نقل إلينا طه حسين المكان قائلا : " إنما سأخرج من الدار و سأنحرف إلى الشمال.... وفي قصة خديجة إذ نجده صور المكان حين قال :" وذات يوم سمعت ربة الدار في فناء دارها من نحو حظيرة الماشية صياح امرأة ."[1]

وفي قصة صفاء قال : "كانت تقوم غي أول الشارع ممايلي القناة على المنحدر يسير ليكلف الساعي إليها قليلا من الجهد ، فينحدر إليها إذا جاء من هذه الناحية ، ويصعد اليها إذا جاء من تلك الناحية " ، طه حسين صور هذا المكان بجعل القارئ و كأنه في عمق القصة يجول في الأماكن التي ذكرها .

وفي نفس القصة قال :" استطاع أن ينقل نفسه من مدينة تلك البعيدة التي كان يعمل فيها إلى مدينة التي تقيم فيها أسرته و إذا هو موظف في مكتب البرق بالمدينة ."

"وقد اتخذ لنفسه حانوتا يبعد عن داره بعض البعد".[2]

و المكان على حد تعبير انريكي اميرت هو المكان و الزمان ، وفي النقد الغربي قليلا ما يطلق مصطلح المكان و إن تعددت دلالة استخدام الفضاء يشير الى الفضاء الجغرافي " الأماكن التي تدور فيها الأحداث ". [3]

---

[1] المعذبون في الأرض ، ص 14-65

[2] م,ن، ص 121-149

[3] الرواية العربية الجديدة ، دراسات في آليات السرد و قراءات نصية ، د. شعبان عيد الحكيم محمد ، عمان ، ط 1 ، 2014 ، ص 79

وينظر للمكان على أنه لوحة فنية ، تعمل على فاعلية الإتصال بين النص و الملتقي وذلك من خلال ما يثيره في نفوسنا ، هذا ما أدركه باشلار في جماليات المكان حيث ربط بين المكان و العناصر الأخرى ، وبين النص و القارئ ليكون المكان أدلة اتصال عبر الصورة الفنية .

و المكان عنصر من العناصر المشكلة للحدث و الشخصية ، وله تأثير في رؤية الكاتب ،وقد حصر انريكي وظيفة المكان و الزمان معا في ثلاثة عناصر :

أولا : إضفاء الاجتماعية على الحدث ، وذلك من خلال إقناع المتلقي بإمكانية وقوع أحداث ، في بيئة معينة ،وزمن معين فكثير من العادات و القيم و المباني ... نجدها في مجتمع وفي زمن معين ، لكن لا نجدها في مجتمع آخر .

ثانيا : الإفصاح عن الحساسية لدى الشخصيات : إدماج العلاقة الشخصية بالمكان و العلاقة الدينامية بينهما .

ثالثا : ربط خيوط الحبكة : ما أحداث إلى مجموعة وقائع جرت في مكان و زمان معين لا يمكن أن تقع في واقع دون زمان و مكان ، ويعمل المكان على ضم الكثير من الأحداث و من هنا يظهر دور المكان في وحدة الحدث ، كأن تهتم مجموعة من الأحداث ستلزم وقوعها في الريف أو المدينة .[1]

أما الزمان فهو المحور الأساسي في الفن الروائي ، باعتبارالسرد من الفنون الزمنية ، ويمثل عنصرا أساسيا من العناصر الأساسية التي تقوم عليها فن القصص ، فإذا كان الأدب يعد فنا زمنيا ، فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن .[2]

1الرواية العربية الجديدة ، شعبان عبد الحكيم ، ص 81

[2] البناء السردي في روايات اليأس خوري – د. عالية محمود صالح ، عمان ، دار أزمنة ، ط1 ،2005 ،ص 17

وعلى هذا الأساس فالرواية " هي فن تشكل الزمن بامتياز ، لأنها تستطيع أن تلتقطه و تشخصه في تجلياتها المختلفة (المثولوجية و الدائرية و التاريخية و النفسية).

وإن لك رواية نمطها الخاص باعتبار الزمن محورالبنية الروائية و جوهر تشكيلها ، فإذا كانت الرواية التقليدية تهتم بتعاقب الزمن ، فالرواية الحديثة تلجأ إلى تشكيل زمنها من خلال تداخل الأزمنة الداخلية و جدلها ، وعلى هذا يسعى الروائي لخلق ابداع أساليب لينقل وهم المزامنة و يجد طريقة يعادل بها تأرجح العقل إلى الأمام و الخلف في الزمن و مع اللغة إلى الأمام .[1]

[1] البناء السردي في روايات اليأس خوري ، ص 18

ب- تعريف الزمان :

- **لغة** : ورد في لسان العرب لابن منظور " الزمان اسم لقليل من الوقت أو كثيره ، زمن الرطب و الفاكهة ، زمن الحر و البرد ، الزمن شهرين إلى ستة أشهر ، و الزمن الشيء طال عليه فصل من فصول السنة .[1]
- **اصطلاحا** : يرى عبد المالك مرتاض الزمن " بأنه مظهر نفسي لا مادي مجرد لا محسوس و يتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير ظاهر لا من خلال مظهره في حد ذاته فهو وعي خفي لكنه متسلط ، ومجرد لكنه يتمظهر في الأشياء المجسدة " . يعني أن الزمن حقيقة مجردة مخفية لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى فالإنسان لا يحس بالزمان و إنما يتوهم فقط . وقد يكون الزمن من المفاهيم الكبرى التي حار العلماء و الفلاسفة و الرياضياتيون في الإجماع على تعريفها .[2]

فالزمان في الأدب هو الزمن الإنساني ، أو كما يتخل الزمن في نسيج الحياة الإنسانية ، و البحث عن معناه لا يحصل الا ضمن نطاق الخبرة ، أو ضمن حياة إنسانية تعتبر حصيلة هذه الخبرات ، وتعريف الزمن هو خاص ، شخصي ، أذاتي ، أو كما يطلق غالبا نفسي .[3] وقد وقف الدارسون على مفهوم الزمن من زوايا متعددة الزمن الخارجي (زمن الكتابة و القراءة) ، والزمن الداخلي (هو الفترة التي تستغرقها الأحداث في الرواية) ، وعند تودوروف ينقسم الزمن إلى ثلاثة أقسام :

---

[1] ابن المنظور ، لسان العرب ، مجلد 3، ص 102

[2] عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ص 173

[3] الرواية العربية الجديدة ص 93

1. زمن القصة
2. زمن السرد
3. زمن القراءة

وعند بوتور الزمن ينقسم إلى :

1. زمن المغامرة = الأحداث و قعت منذ سنين
2. زمن الكتابة = تكتب في ساعتين
3. زمن القراءة = تقرأ في دقيقتين . [1]

وحاول الروائيون تجسيد الإحساس بمرور الزمن ، لذلك تركوا معالم الزمن الخارجي و ركزوا على الزمن النفسي ، لهذا فقدت التواريخ و الساعات معناها ، وبدأت التقنيات الزمنية الغير محددة تحل مكانه الوحدات التقليدية العريضة و أصبحت اللحظة أكثر دلالة من السنة .[2]وهذا ما جسده طه حسين في مجموعته القصصية ، في قصة صالح دعى مع مغرب الشمس الى داره يكاد يخطر في ثوبه الجديد.

" وسعت الشمس إلى مغربها متباطئة و أقبلت ظلمت الليل و جتم الليل على المدينة " .[3]

في قصة خديجة قال : " ينطلق الفجر ذات يوم جريئا يريد أن يمحوا آية الليل تغمر الأرض هذه المساحة الحلوة التي تكون نية انطلاق الفجر و إشراق الشمس .

[1]الرواية العربية الجديدة ص 94

2م.ن ، ص 95

3المعذبون في الأرض. ص 14

صور طه حسين الزمن حتى بالساعات و الدقائق و بأسلوب يدهش القارئ ، إذ نجد كذلك في قصة رفيق جسد هذه الظاهرة حين قال :" ولم يرتفع الضحى من الغذ حتى كان الصبي قد تعرف إلى زميله في الكتاب ."

في قصة صفاء قال : " ولا إلى طويل من وقت ، و أنما عام أو بعض عام ثم يتقدم الطالب إلى الإمتحان ."

" ثم لا يكاد الصبح يتنفس حتى يراه في الطريق العامة غاديا على عمله في الدائرة "

" ودموعا لعلما أن تنهل عين تخلو إلى نفسها في ساعة من ساعات النهار أو في ساعة من ساعات الليل ".

" فقد كان المسلمون في أيام عمر و في ذلك العام يجدون الجوع و الضمأ و العرى ، و أما المصريون في هذا العام فإنهم يجدون الموت و يجدون المرض " ، قصة تضامن .[1]

[1] المعذبون في الأرض،ص65-169

ت- الشخصيات :

- مفهوم الشخصية :

- **لغة** : ورد مفهوم الشخصية في معجم " الوسيط " أنها صفات تميز الشخص عن غيره، ويقال فلان ذو شخصية قوية ، ذو صفات متميزة و إرادة و كيان مستقل ، يقصد بهذا الكلام أن كل شخص له شخصيته الخاصة به يختلف بها عن الآخرين أي ميزة تميزه .[1]

واقترنت لفظة الشخصية بالقرآن الكريم حين قال عزوجل : { وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} سورة الأنبياء الآية 97

- **اصطلاحا** : تباين الدارسون في فهم الشخصية ودراستها و هذا راجع إلى الاختلاف في المناهج التي اعتمدوها ،فالمعاجم لم تجمع على مفهوم واحد بل تعددت .

" لا نبالغ إن اعتبارنا الشخصية أهم عنصر في البنية الروائية لأنها شبكة تمتد عبر الفضاء الروائي لترتبط الأشياء ببعضها البعض "، " إن الشخصية هي القوة المولدة للأحداث تؤثر فيها و تتأثر بها "، تشير أن ليس الفرد بعينه و إنها تشير إلى "كل " بمعنى مجتمع أو طبقة ما .[2]

وعرفها رولان بارت بأنها " نتاج عمل تأليفي " جعلها الأساس في العمل الروائي .[3]

الشخصية هي عماد من أعمدة البناء الروائي كما يرى الدكتور عبد المالك مرتاض ، هي التي تكون واسطة العقدة بين جميع المشكلات الأخرى ، حيث إنها هي التي تصطنع اللغة و هي التي تبث أو تستقبل الحوار ، وهي التي تصطنع المناجاة وتصف معظم المناظر و هي التي تعمر المكان . وهي التي تتفاعل مع الزمن فتمنحه معنى جديدا .[4]

---

[1] ابرهيم مصطفى و آخرون ، المعجم الوسيط ، اسطنبول ، ص 475

[2] البناء السردي في روايات إلياس خوري ص 120

[3] حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، من منظور النقد الأدبي ، الدار البيضاء ، المغرب ط3 2000 ،ص 51

[4] الرواية العربية الجديدة ،شعبان عبد الحكيم ، ص69

حاول الناقد فلاديمير بروب و غريماس : تحديد هوية الشخصية من خلال مجموعة أفعالها ، دون النظر عن العلاقة التي تجمع بينها و بين مجموعة الشخصيات الأخرى ، بحيث توسعت كلتا أبحاثهما في دراسة الوظائف التي تقوم بها الشخصيات في الرواية ، دون النظر لسماتها الظاهرية و لا أبعادها النفسية .[1] ومفهوم غريماس للشخصية يأتي امتدادا لرؤية النقاد في التقليل من النظر للشخصية من منظار عدسة مكبرة تنفخ في صفاتها الجسمانية ، وتمجد بأعمالها .[2]

وجعلها فورستر " الركن الثاني في الأهمية ، ضمن سبعة أركان ، لأنها تدير الأحداث و تتحرك في المكان و الزمان ، و تخلق بصراعاتها عنصر التشويق و العقدة ، واعتبرها هنري جيمس محور الأعمال في مجموعة الأسئلة التي طرحها في مقالته المشهورة « فن القصة » ما الشخصية إن لم تكن محور الأعمال ؟ و ما العمل إن لم يكن تصوير تصرف الشخصية ، وما اللوحة أو الرواية إن لم تكن وصف طباعة الشخصية .

وكذلك تساؤلات مطابقة طرحها ولاس مارتن حيث قال : ” إن الفعل و الشخصية تتكونان تدريجيا على امتداد الخط الزمني في عملية القراءة و تطور السرد . وعلى هذا النحو اعتبرت محور أساسي ومن مقومات الأعمال الروائية .

ونظر بروب إلى الشخصية و أدرجها في دوائر الأعمال السبع المعروفة ، لكن القصة ليست صيرورة أعمال و حسب و إنما هي صيرورة شخصيات كذلك .[3]

وعرفها معجم مصطلحات نقد الرواية . هي كل مشارك في أحداث الكتابة سلبا أو إيجابا ، أما من لا يشارك في الحدث لا ينتمي إلى الشخصيات ، بل يكون جزءا من الوصف ، الشخصية

---

[1] الرواية العربية الجديدة ، ص71

[2] م.ن ، ص 74

[3] البناء السردي في روايات الياس خوري ، ص 119

عنصر مصنوع مخترع ككل عناصر الحكاية ، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصنعها ، ويصور أفعالها ، و ينقل أفكارها و أقوالها قد يمكن اعتبار العنصر الحيوي في العمل الروائي .[1]

فالعلاقات بين الشخصيات في الرواية ، تكون ذات علاقة منطقية مثلا : علاقة الأسرة المتداخلة ، والعلاقات الزمنية بين الشخصيات ، و علاقات مكانية بين الشخصيات مثل الانتقال من مكان لآخر، و مدى تقبل الشخصية لهذا المكان ، و يرى الباحث أن الكشف عن رؤية الشخصية يتم من خلال البعد المكاني للشخصية .

وتقسم الشخصيات إلى شخصيات رئيسية و أخرى ثانوية ، فالشخصية الرئيسية : هي شخصية تضطلع بمحور العمل ، بحيث لها دور رئيسي و يعيرها الراوي عناية فائقة ، فهو يركز كل الأحداث عليها ، بحيث يخصها دون غيرها من الشخصيات الأخرى ، يمنحها حضورا كبيرا ، و تحضا بمكانة مهمة ، هذا الاهتمام يجعلها مركز اهتمام الشخصيات الأخرى ، فبالنسبة للشخصية الثانوية : هي التي تقوم بالدور التكميلي المساعد للبطولة .[2]

وتختلف الشخصية في المسميات ، فمن حيث حجم وجودها (مركزية – ثانوية) و من حيث ثرائها الفني (شخصيات مدورة ،و أخرى مسطحة) و أطلق على الشخصيات المدورة بالشخصيات النامية ،أما الشخصيات المسطحة أطلق عليها بالشخصيات الثابتة . [3]

- لكن هل توجد شخصيات بدون أسماء ؟

الاسم هو الذي يعين الشخصية و يجعلها معروفة و فردية ، ولذلك يسعى الروائي وهو يضع الأسماء لشخصياته أن تكون مناسبة و منسجمة ، فإن الاختلاف الذي يطبع أسماء شخصيات

---

[1] البناء السردي في روايات الياس خوري ، ص 120.

[2] السرد و نبوءة المكان ، ص 145.

[3] الرواية العربية الجديدة ، ص 73 .

الروائية و القصة التي تضبط اختيار المؤلف لاسم الشخصية ليس دون خلفية نظرية . ومعظم المحللين و البنيويين للخطاب الروائي أصروا على إرفاق الشخصية باسم يميزها . [1]

فالروائيون يتعذبون في اختيار أسماء شخصياتهم ، فالكاتب الروسي تشيخوف كان يطلب من أمه تبعت له أسماء الناس من القرية ليضفها في قصص .

وربط « إيان وات » ربطا منطقيا بين الشخصية و اسم العلم الذي يدل عليها و حاول أن يدرس الطريقة الخاصة التي يعلن بها الروائي عن قصده تقديم شخصية ما ، وذلك تسمية الشخصية بأسماء كنا قد سمعناها في الحياة الاعتيادية .[2]

تعتبر الشخصيات الفعل الربط بين عنصرين الزمان و المكان .

و الروائي حين يعرض الشخصيات في عمل ما ، فبالضرورة هو يعرض لنا الأفكار التي يحملها و بدءا لابد من التفريق بين الكلمتين الشخصية و الشخيص ، فالشخصية هي كائن له سمات إنسانية ينخرط ضمن أفعال إنسانية ، له صفات إنسانية ، فالإنسان كان حقيقيا أو متخيلا له سيمات و فعل و صفة إنسانية يؤديها ضمن سياق الموضوع له في الأعمال الأدبية ، فالشخصية هي عنصر مصنوع يدخل ضمن عناصر الحكاية تتكون من مجموعة من الكلام ، و قصور أفعالها و ينقل أفكارها و أقوالها ، فالروائي له دور في اختراع الشخصية و صياغتها إذ يصفها و يصورها و ينقلها للقارئ بما تحمله من أفكار ،و الشخصية هي أحد الأفراد الخيالين ، أو الواقعين التي تشارك في أحداث القصة و الرواية أو المسرحية ، فهي أساس الحدث الواقع في زمان و مكان معين إذ تؤدي دورا فعالا في الأعمال الأدبية ، فضلا عن حركتها المستمرة و تداخلها مع الشخصيات الأخرى .[3]

---

[1] البناء السردي في روايات الياس خوري ، ص 124

[2] م.ن ،ص 125

[3] السرد و نبوءة المكان ، ص140

أما التشخيص له أسلوبان مباشر و غير مباشر ، فالأول إذ يعرض الراوي سمات الشخصية ، أو تقدم الشخصية نفسها أو تقدمها شخصيات أخرى ، أما الثاني غير المباشر فيقدم الشخصية من خلال أفعالها و أفكارها و يتم ذلك أثناء رسم الشخصية ، وذلك من خلال وضعها و تسميتها و تصويرها من الداخل و الخارج .[1]

للشخصية أهمية جد حساسة لأن هيكلة العمل الأدبي تعتمد على طرق تقديمها و هندستها و تحركاتها ، وهي من أهم مكونات العمل الحكائي ، لأنها تمثل العنصر الحيوي ، لذلك يرتبط بناءا الشخصية على قدرة الروائي على الخلق و الابتكار ، وفهمه لعالم الشخصية ، لهذا فالروائي المبدع هو الذي يحسسنا بأنه يتوارى خلف ستار معين ، ويقوم ببعض عمليات التحريك و التوجيه للشخصيات الروائية ، و يبث فيها أفكاره ، وكأنها تخص الشخصيات ذاتها مع تنفيذ عملية التوجيه و التحريك ، بل ويقنعنا أن تلك الشخصيات ذو استقلالية تامة تتحرك بحرية و تدير حياتها بنفسها دون توجيه بطرائق خارجية .

وتقوم الشخصيات بدور مهم في نطاق الرواية فهي الفاعل الأساسي الذي يربط بين الأحداث و الأمكنة .[2]

إن من أهم الوسائل الفنية في العمل الروائي ، هي كيفية خلق الكاتب شخصيته و هذا ما وظفه طه حسين في قصصه ، حيث وضع لكل شخصية اسما، و وضح ملامحها الجسدية و النفسية ،وحدد السن و الجنس " ذكر أم أنثى " ،(شاب ،فتاة ، رجل ، امرأة ، شيخ ،عجوز)، وحدد الملامح الشخصية بملابسها و طريقتها في الكلام و حتى كيفية تناول الطعام .

ففي قصة صالح نجد أن طه حسين قدم شخصياته من جميع الأبعاد :

1- البعد الجسمي

[1] السرد و نبوءة المكان ، ص141

[2] م.ن ، ص 144

2- البعد الاجتماعي

3- البعد النفسي

- صالح : شخصية رئيسية ، احتلت أكبر مساحة في القصة من طبقة فقيرة و معدمة ومحرومة وصفها طه حسين بالبؤس ، الشقاء ، صالح صاحب الابتسامة التي تحمل الكثير من الألم و الحزن و الكثير من الأمل ، ذو صوت خافت ، وجسم نحيل يغطيه ثوب ممزق و رث يعيش في بيت حقير .
- أمين : شخصية ثانوية احتلت مساحة كبيرة في القصة ، أمين الصديق المقرب لصالح ، الصبي ذو النية الخالصة و صدق الرأي ، طويل اللسان ،كثير الثرثرة ، ليس محروم بل من طبقة غنية ميسر عليه في الرزق .
- الحاج عليا أب صالح : احتلت هذه الشخصية مكانة أقل في القصة و لم يكن لها تأثير ، فالحاج عليا كان طيب القلب سليم النفس الرجل الهادئ ،لكن مسه الجوع و البؤس و الشقاء .
- خديجة : أم صالح شخصية احتلت مكانة أقل وليس لها تأثير فعال في الأحداث، شاذة الخلق ، سيئة العثرة ،كثير الكلام ،شديدة الصياح ، لا ترضى بشيء ، ولا ترضى عن شيء ذات الحيلة الضيقة و العقل الكليل اختلطت الأمور عليها طلقت مرتين جن جنونها ولقبت بخديجة " المعفرتة " .
- أم أمين : كانت مؤثرة في القصة ، ربة بيت ، امرأة حنونة على أبناءها ساعدت البطل " صالح " .
- سعيد : أخ صالح شخصية لم تحتل مكانة في القصة ، وليس لها تأثير تربى تحت جنون أمه خديجة .[1]

[1] مصدر سابق ص 14-42

- قاسم : شخصية رئيسية في القصة ، وظفه طه حسين بمهنة الصيد ، قاسم الهادئ المطمئن ،قليل الكلام ، صاحب النظرة الحزينة ، بائس جاهل ، جسمه نحيل أنهكه المرض ، ثقيل الخطوة ، يعيش في منزل حقير ، منطقة فقيرة .
- سكينة : شخصية ثانوية ، سكينة ابنة قاسم ، شابة عمرها 17 سنة ، فيها سذاجة تشبه الغفلة و على وجهها مسحة من الجمال توشك أن تروق الناظرين وفي جسمها تناسق و في قدمها اعتدال يظهران للناظر دون أن يتكلف التماسا عارية ، أو كالعارية لا يسترجسمها إلا أسمال بالية صاحبة النظرة الحزينة .
- امونة زوجة قاسم : لم تحتل مساحة كبيرة في القصة ، أمونة ربة بيت و في نفس الوقت كانت تساعد قاسم في شؤون البيت .
- الحاج محمود : لم تحتل هذه الشخصية المكانة الكبيرة ، وليس لها تأثير فعال في الأحداث ، الحاج محمود زوج عمت سكينة كان قاسي القلب ، ثري يملك الأراضي ، اشتهى و طمع في جمال سكينة .[1]

و في قصة خديجة :

- خديجة :شخصية رئيسية من طبقة فقيرة ، نشأت في أسرة بائسة شقية امتازت بوجه كأن الشمس ألقت ردائها عليه ، وجه نقي اللون ، بارعة الجمال ، جمال فاتن يسحر القلوب ، وصوتها إذا تكلمت عذبا صافيا ،كانت تستحي كثيرا تعمل في دار من دور من أجل مساعدة أهلها و كانت راضية بهذه الحياة ، لكن تتغير الأحوال و يتقدم شاب لخطبتها وفي نفسها رافضة ، فتزوجت لكن الفاجعة الكبرى في الصباح يصل إلى أهلها أنها أمت نفسها و توفيت
- شعبان : أب خديجة احتل مساحة أقل و غيرمأثرة في القصة ، من طبقة فقيرة، ورث مهنة البناء من أبيه ،كان بناءا متواضعا ، رجل بائس شقي .

[1] مصدر سابق ص 42-65

- محبوبة : أم خديجة احتلت مساحة أقل لكنها مؤثر في القصة ، صورتها رائعة القبح ،حزينة .قد غشا وجهها بغشاء صفيق مؤلم من الكآبة ، كانت تصنع الخبز من أجل أن تحسن مستوى معيشة عائلتها و تعين زوجها ، تعيش في بيت حقير
- ربة الدار : من طبقة غنية ، كانت خديجة تعمل عندها ،محبة لها، عطوفة على أهل خديجة تحسن إليهم اختصتها بالحب و المودة .
- خطيب خديجة : شخصية لم تحتل مكانة كبيرة ، وليس لها تأثير ، نشأ هذا الشاب من أسرة لست عظيمة ، لكنها غير معدمة ، الفتى قوي موفور الصحة ، عظيم النشاط ، جميل المنظر ، منطلق اللسان .[1]

وفي قصة المعتزلة نجد طه حسين صور لنا الشخصيات و حرص على عرض الأبعاد .

- أم تمام : شخصية رئيسية في القصة ، من طبقة فقيرة كانت تكنى بأكبر أبناءها ، من أهل الصعيد ، أسرة غارقة في البؤس ، والشقاء عاشت في بيت حقير مع أبنائها كانت سيرة أم تمام و بنيها تمنع جيرانها أن يعرفوا شيئا من أمرهم ، كانوا يعتزلون الناس إلا إذا اضطروا لديها غلامين و بنت ، كانت قصيرة منحنية في الانحناء مشيها بطيئا صوتها نحيلا ضئيلا ، كانت تجلس ساكنة منعطفة على نفسها.
- سعدى : لم تأخذ مكانا واسعا في القصة ، وليس لها تأثير ، سعدى هي ابنة أم تمام جميلة الوجه ، بلهاء كانوا يعطف عليها الناس و مرات يقسون عليها ، وصفها طه حسين بالبنت الحمقاء الخرقاء ، ينتهي بها الأمر و الجنين في أحشائها فأين مضت سعدى بهذا الجنين ، هل أتيح له أن يرى النور ؟ ماخطبه ؟ و ما خطب أمه ؟ [2]

وفي قصة رفيق :

[1] مصدر سابق ص 65 -80

[2] مصدر سابق ص 80- 100

- العفريت : شخصية رئيسية ، لقب بالعفريت اسمه الحقيقي محمود، مثير توجه يكاد يخرج من وجهه نشاط وقوة ، درس في الأزهر الشريف ، عاش في بيت أنيق مترف و هو من منطقة غنية .
- الأب : عليه مظهر الثروة ، لباسه أنيق وجهه تشرق فيه الثقة و تظهر عليه الكبرياء مرتفع القامة ، مظهره يدل على أنه راضي عن نفسه كل الرضا مستقر في الحياة كل الاستقرار كان ضابطا من ضباط الجيش في القديم ، من أصول تركية يعيش في مصر لديه صبيين و بنتين
- الأزهري : وهو أخ محمودا اسمه الحقيقي عثمان ، شخصية لم تحتل مساحة أكبر في القصة و ليس لها تأثير .
- العريف : لم يحتل مكانة كبيرة ، لكنه لديه تأثير في القصة ، صاحب الصوت المرتفع حين يتكلم صوته كأنه الرعد يقرع الأذان و يفجأ النفوس و يعقد الألسنة عن النطق .
- كريمة : ربة بيت ذات أصول تركية هي كذلك لا تحس نطق العربية (لهجة عربية غربية)، عذبة الحديث ، تقدم بها السن لكنها بقيت حلوة الشمائل .
- الأختين : باهرتا الجمال يشبهان الأوربيين في جمالها قد بلغتا طور الشباب كانت الكبرى تدعى تفيدة ، رائعة الحديث، بطيئة الكلام و الحركة ، قليلة النشاط ، و الأخت الصغرى اقبال كانت حلوة لا تنقطع لها حركة .[1]

وفي قصة صفاء كشف طه أبعاد شخصياته أمام القارئ بصورة تدريجية عبر أحاديثها وتصرفاتها و أفعالها

- الأسرة الأولى :

[1] مصدر سابق ص 102-121

- ميخائيل : شخصية ثانوية ، ولها تأثير في القصة ، ميخائيل من طبقة متوسطة ، يقطن ببيت تألف من حجرات قليلة لا يظهر عليها الثراء و لا يظهر عليها الضر ، من عائلة متواضعة ، تاجر يملك محل ، توفي و حمل ابنه عنه الأعباء و المشقة فشمل أمه و أخته .
- حنينه : زوجة ميخائيل ، ربت بيت ، احتملت الفقر و الضيق فقط في سبيل ابنها نصيف اضطرت للعمل من أجل مساعدة عائلتها شخصية لها مكانة كبيرة في القصة .
- نصيف : ابن ميخائيل و حنينه شابا ، أنيقا رشيقا ، أزدت عائلته أن تعلمه ليصيح موظفا من موظفي الحكومة لا أن يكون تاجرا مثل : أبيه، أنفقت عليه أسرته الكثير ، فارق عائلته و أته للدراسة ، رسب العام الأول ، لكن نجح و أصبح بعد ذلك موظفا في سلك الدولة .
- صفاء : شخصية رئيسية ،ولها مكانة كبيرة في القصة ، من طبقة متوسطة شابة في مقتبل العمر،ابنة ميخائيل ، خطبت لعبد السيد جار العائلة و ابن المعلم يونان ، سرعان ما تتغير الأحداث و يتقدم زميل أخيها في العمل لخطبتها فتنقلب الأحداث على رأسا على عقب ، صفاء الفتاة المغفلة الساذجة كثر عليها الإلحاحوالإغراء فقط من أجل قبول هذه الخطبة ، كانت تبتسم ظاهريا و قلبها يحمل حزنا دخيلا و أملا دفينا، استقبلت صفاء يوم زواجها بالعبوس تظهر الرضا و تضمر السخط ، وتصبح بعد ذلك متزوجة كالمطلقة ، ففصمت تلك العقدة التي عقدها القس و التي لا يفصمها إلا الموت نهايتها كانت مؤلمة .

- الأسرة الثانية :

- المعلم يونان : من طبقة متوسطة ، كان كاتبا و رجلا متواضعا يشتغل بالدائرة ، أجره ضئيلا حاول أن يعلم ابنه مهنته و حصل ما كان يريد، تقدم المعلم في السن ضعف جسمه و أنهكه المرض .
- مرجانة : زوجة يونان ،ربة بيت ، لكن سرعان ما تغير الأحداث و تضطر أن تبرح الدار و تسعى جاهدة لمساعدة زوجها و ابنها في شؤون الحياة ، صاحبة الابتسامة الحزينة الساخرة .

- عبد السيد : ابن المعلم يويان ، الفتى الجهل و الكسل تقدم لخطبة صفاء، لكن يثور غضبه حين يعلم أن صفاء تقدم لها شاب آخر لخطبتها و لم يبقى لها سوى أيام على حفلة الزواج فكانت نهاية عبد السيد مؤلمة هو كذلك نهايته الموت ، هذه الشخصية احتلت مكانا كبيرا في القصة .

- زميل نصيف : فتى كريم من أسرة كريمة ، من طبقة غنية ، فقد أبوبه ، تقدم لخطبة صفاء ليس له تأثير في القصة،معظم شخصيات هذه القصة احتلت مكان كبيرا و لها تأثيرها .[1]

وفي قصة تضامن كذلك :

- عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رحمه الله وصفها طه حسين بالصبر و الثبات حيث كان يحث المسلمين على الصبر و التعاطف و التآلف و التضامن الاجتماعي ، و علمهم أن هذه الحياة لست فقط نعيما و و إنما هي مزاج من النعيم و البؤس ، فكان رؤوفا بأهل البادية يطعمهم من جوع و يسقيهم من ظمأ ، و يكسوهم من عرى .[2]

وأيضا ثقل الغنى :

- عبد الرحمن بن عوف : رحمه الله ، كان كثير مال عريض الثراء ، من الأوائل الذين أسرعوا إلى الإسلام حين ظهرت الدعوة ، شرح الله صدره للإسلام ، كان قلبه يفيض بالرفق و البر و الحنان و إيمانه الذي ملأ نفسه ثقة و يقينا ، آخى النبي صلى الله عليه و سلم . كان من أكبر المسلمين تصدقا ، أنفق حياته كلها مستثمر ماله متصدقا به ، طه حسين في حديثه عن عبد الرحمن بن عوف يوجه رسالته إلى الأغنياء و يريد منهم أن ينظروا إلى ماحولهم من بؤس و شقاء و وباء و موت.[3]

---

[1] المعذبون في الأرض 121-149

[2] م,ن ، ص 156- 164

[3] المعذبون في الأرض ص 165 - 172

وفي قصة صفاء أيضا :

- عثمان بن عفان رحمه الله السباقين للإسلام ، حسن العشرة ، بدل ماله لنصرة المسلمين
- طلحة بن عبد الله رحمه الله كان شديد الإنفاق على المسلمين ، من السابقين الأولين إلى الإسلام ، ذو ثراء ، أشتهر بكرمه و كثرة إنفاقه و صدقاته .[1]

وأيضا في قصة مصر مريضة:

- مصر شخصية معنوية وهي الرئيسية في القصة.[2]

تضل الشخصية عنصر فعال في الرواية وفي جل الأنواع السردية ، فهي تصور الواقع من خلال حركتها ، حيث بواسطتها يمكن تعرية أي نقص وإظهار أي عيب يعيشه أفراد المجتمع .

[1] مصدر سابق ، ص 173-182

[2] مصدر سابق ، ص 182

- **3 – الأسلوب في الكتاب**

تعريف الأسلوب :

يعرفه أحمد حسن الزيات بقوله : « هو طريقة الكاتب أو الشاعر الخاص في اختيار الألفاظ و تأليف الكلام » .[1]

ويعرفه عبد السلام المسدي بأنه :« الميزة النوعية للأثر الأدبي » .[2] ويقول : « قوام الكشف لنمط التفكير عند صاحبه » .[3]

ويعرفه " بيير جيرو " بقوله : « هو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية ، و يتميز في النتيجة من القواعد التي تحدد معنى الأشكال و صوابها » .[4]

وقد تعددت هذه التعريفات إلا أنها تكاد تلتقي في معنى جوهري واحد ، مراده أنه الأسلوب هو طريقة اختيار الكاتب لأدواته الكتابية بشكل تميزه عن غيره ، و تحقق له التفرد في صياغة أفكاره و التعبير عنها .

وعن أسلوب طه حسين تحدث الأستاذ إبراهيم عن صديق عمره قائلا :" ولما كان قد ألفى أن يملي كتبه و رسائله و مقالاته فإذا كتبه و أحاديثه حين تجد في مستوى واحد كائنا من كان ذلك المستوى ، فلست تفتقد في أحاديثه ما تجده ، في كتابته من الخصائص و الثبات. ومن شأن الإملاء أن تحول دون مط الكلام ، و أن يجعل الجمل قصيرة فلا تطول مسافة مابين أولها و آخرها ، و أن

---

[1] أحمد حسن الزيات ، دفاع عن البلاغة ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ط2 1967 ،ص 68

[2] عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا و تونس 1977 ص60

[3] م.ن ، ص 60

[4] بيير جيرو ، الأسلوب و الأسلوبية ،ترجمة منذر عياشي ، مركز الأخاء القومي ، بيروت – لبنان ،ص 09

يغري بالتكرير و الإعادة إلى حد ما . إذن أنا أخرجها من عالم الكتابة ، نعم و لست أراها إلا خطبا مدونة ، وقد صدق في قوله :« إني ماكتبت فصلا إلا و أنا أعلم أنه شديد النقص ، محتاج إلى استئناف العناية به و النظر فيه- إني أقدر أنهسيتاح لي من الوقت و فراغ البال مايمكنني من استئناف تلك العناية و هذا النظر إذا فرغت منه و نشرته السياسة و عرضت لغيره في مثل الحالة العقلية التي عرضت له فيها مقدما أن استأنف العناية به و النظر فيه مستحييا أن أقدمه إلى الناس على ما فيه من نقص حاجة إلى الإصلاح، و الأيام تمضي و الظروف تتعاقب مختلفة متباينة أشد الاختلاف و أعظم التباين، و لكنها كانت تحول دائما بيني و بين ما كنت أريد من تحديد العناية و استئناف النظر .[1]

و مما لا شك فيه إن أظهر العيب في المقالات الدكتور طه حسين هو:" التكرار "، و ما إليها من سبيل و هذا راجع إلى سببين :

- الأول : ما أصيب به من مرض في حياته من فقد بصره كان له تأثير كبير نستطيع أن نقدره في الأسلوب الذي يتناول به موضوعاته : " وليس يخفي أن المرء أذا أحيل بينه و بين المرئيات ضعف أثرها في نفسه ، لم تعد الكلمة الواحدة تغني عن إحضار الصورة المقصودة إلى ذهنه بالسرعة و القوة الكافيتين" .فلا يسعه فيها يعتقد إلا الإسهاب و محاولة الإحاطة ، و معالجة الاستقصاء و التصفية .

- الثاني : كونه أستاذ مدرس و طالت سنواته في مجال التعليم تعود الشرح و التكرار و الإيضاح .[2] يقول الدكتور زكي مبارك « لا يمكن أن نعرف قيمة الدكتور طه حسين إلا إذا نظرت في مهارته الأدبية ، وبيان ذلك ، هذا الرجل قليل المحصول و لعلي ما رأيت في حياتي رجلا قليل العلم

[1] ابو بكر عبد الرزاق ، وثائق قضايا طه حسين ، صيدا بيروت ، 1926م –1956 م ،ص 270

[2] م.ن،ص 271

كما رأيت طه حسين و مع قله محصوله العلميتراه يتكلم كلام المحققين و يمضي فيبني و يهدم و ينقض ، و كأنه عالم محقق أخد بنواحي المعارف الإنسانية في القديم و الحديث و هذا لا يقع إلا من رجل وصل في المهارة إلى أبعد الحدود ، يضاف إلى ذلك كله لسان يحكي سلاسة المرمر و ليونة الماء ، فإذا سمعت طه حسين وهو يحاضر شعرت أنك أمام إنسان يملك ناصية الحديث و ليس ذلك بالقليل ، ويقصد بهذا القول أن طه حسين ذو قيمة و مهارة عظيمة .[1]

إن أول ما يلفت نظرنا في طه حسين هو ظاهرة التناص مع القرآن الكريم فمظاهر التناص مع القرآن الكريم واضحة و متعددة بالكتاب ذكر منها مايلي :

والصبي على ذلك كله باسط يده إلى رفيقه بهذه الطاقة الساجدة الخشنة ، فهذه العبارة أخذت من السورة القرآنية " الرعد" : « لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ » سورة الرعد الآية 14 .

ومن قول الكاتب : احفظ هذه الآية من القرآن الكريم ورددها في قلبك أو لسانك فإنها تؤمنك من خوف و تؤنسك من وحشة {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } سورة الرعد الآية 28

وأيضا من استلهام طه حسين القرآن في أسلوب قوله : ولكن الأتراب و الرفاق أعرضوا عن صالح و أمين و اتخذوها عدوا .

هذه العبارة مأخوذة من سورة الشعراء { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ } سورة الشعراء الآية 77 .

[1] طه حسين حياته و فكره في ميزان الإسلام ، د. أنور الجندي ، دار النشر لطباعة الإسلامية – مصر ط2 -1397هـ-1977م ، ص 167

نجد كذلك عبارة : إلى البائسين المعذبين الذين مسهم الضر قبل الوباء مأخوذة من سورة يوسف . { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ } سورة يوسف الآية 88 .

وفي نفس السياق قوله : وجعلوا يكيدون لهما و يمكرون بهما و يذيقونهما من العنت فنونا و ألوانا ، أخذت هذه العبارة من سورة يوسف { فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } سورة يوسف الآية 76 .وأيضا : وما من شك أن الشمس أشرقت بعد ذلك بنور ربها أخذت من سورة الزمر { وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } سورة الزمر الآية 69 . [1]كذلك عرف طه حسين بظاهرة التكرار يقول مصطفى صادق الرافعي : أول من إجترأ على الأدب العربي بالمسح و التكلف و إدارة على الوهم البعيد، و تناوله من حيث يأخذه ، علما ليتركه جهلا و هو يحسبأنه أخذه جهلا و تاركه علما ، ثم كان أول من استعمل الركاكة في أسلوب التكرار كأنه يمضغ الكلام مضغا فنزل به إلى أحط منازله و ابتلى العربية بالمكروه الذي صبرفيه و المرض الذي لا علاج له .[2]ورد هذا في قصصه نذكر منها مايلي :

- وانقطع صالح عن الكتاب يوما و يوما
- فأنا أستطيع أن اذهب معه إلى السوق ، وأنا أستطيع أن أذهب معه إلى هذه الدور ، ثم أذهب معه إلى الكتاب ، و أنا أستطيع أن أترك قاسما
- وتخرج أم تمام من بينها مع الصبح أياما و أياما
- وجعلت أتضاءل و أتضاءل
- و أما عبد السيد فيثور و يثور

[1] المعذبون في الأرض

[2]طه حسين حياته و فكره في ضوء الإسلام ، أنور الجندي ، ص169

- وأفاض على وجهها بهجة زادتها حسن إلى حسن و روعة إلى روعة .
- فقد أسخرها لبيع الخضر ، وقد أسخرها لبيع الفاكهة .
- وقد أكلفها أن تصنع الخبز في بيوت الأغنياء و أوساط الناس ، وقد أكلفها أن تغسل الثياب.
- ونهض وهو لا يقدر على النهوض و سعى و هو يقدر على السعي.[1]

و من أسلوب طه حسين كذلك التكرار في استعمال أسماء الإشارة .

- كل أولئك أضعف من أن يقوم في سبيل الأدب و الفن .
- و الثوب على ذلك رث و قذر
- وافتدت صاحبنا ذاك المهذار فأرسلت أخته تلتمس .
- ولم يمهل تحريكه حتى تتخلله تلك العقدة البغيضة .
- أحدهما صالح هذا الذي يتخذ زهرات الحقول وسيلة إلى عشاء يصيبه
- ومايزال على حصيره ذاك لا ينطق كلمة و لا يفكر بشيء .
- و ما أنت و ذاك.
- ثم ألقي تحيه بصوته ذاك المرعب المخيف.
- وكان حديثها ذاك الملتوي .
- أولئك الذين عرفتهم في الكتاب.
- كان هذا في تلك الأيام السود.
- ويستأنف حياته تلك الغريبة المتشردة .[2]

[1] المعذبون في الأرض،ص 14-121

[2] المعذبون في الأرضص 14-156

وبالجملة فإن إنتاج طه حسين يكاد متناقضا في الرأي و ضده و يقول الشيء و يعكس الشيء " ما أعرف أنني بايعت شاعرا أو كاتبا قط ، و ما أظن وأنني سأبايع شاعرا أو كاتبا قط فهذا نوع من السخف لم أشارك فيه ولا أريد أن أشارك فيه ".[1]

و من أسلوبه أيضا التقلب من الإيجاب للسلب نذكر بعض العبارات التي تشير إلى هذا التقلب:

- لأن صالحا موجود لأنه غير موجود
- ولأن القارئ مضطر إلى أن يتلقى حديثي كما أسوقه إليه ، ثم هو حر بعد ذلك في أن يقبله أو يرفضه و في أن يرضى عنه أو يخط عليه (هذه العبارة ورد فيها أكثر من تقلب واحد).
- فأدى صلاته لم يكلم أحد و لم يكلمه أحد.
- خبز جاف تبعدان الجوع من نفسيهما أو تبعدان به نفسيهما عن الجوع .
- و كأن دنو امرأته من الشيخوخة أو دنو الشيخوخة من امرأته .
- ثم لم يحس شيئا ، ولم يحسه شيء .
- تعبث بالناس و يعبث الناس بها .
- ومن شاء أن يرضى عنه فليرض مشكورا ،ومن شاء أن يسخط عليه بعد القراءة فليسخط شكورا أيضا .[2]

ومن أسلوبه أيضا النفي ب''ليس'' نذكر مايلي:

- ولست أعرف أشد حمقا و لا أجهل جهلا و لا أغبى غباء
- لأنك لست في حاجة إلى ذلك فلست محروما ؟
- ولكن البؤس قد يتصل بأشياء أخرى ليست جوعا و لا إعداما.

[1] طه حسين حياته و فكره في ضوء الإسلام ، ص165

[2] المعذبون في الأرض ، ص 14-65

- ولست أدري أن يعرف القارئ أو لا يعرف.
- ولست أشك في أن القارئ سيضيف إلى هذا سؤال
- ليس أدل على أن أب صالح قد كان معذورا حين فارق امرأته .
- لست أدري ما صنعاالرفيقين.
- لا بد من ما ليس منه بد ، فمن حق الكاتب أن يذهب ما شاء من المذاهب في كتابته .
- وهنا ليس يحتاج القارئ فيها أظن إلى أن أمضي به في هذا الحديث.
- ولست أدري ماذا كان من أمر الجمع المحتشدين بعد هذه الفضيحة.
- ولست أعرف ما هذا الذي أردناه إليه .
- ولست أكره أن أودي للقارئ حقه في هذا قبل أن ينتقل معي في الزمان و المكان جميعا.
- لست أبغض شيئا كما أبغض إلقاء الدروس في الحفظ و الإرشاد.
- لست أدري أتصبح هذه الأخبار كما أحب وكما أعتقد أم لا تصبح.[1]

ومن أسلوبه أيضا هو السجع فهو يلجأ إليه في الكثير من الأحيان و هذا ما ذكره الدكتور أحمد علبي في كتابه طه حسين رجل و فكر عصره .[2]

قوله: إنني لا أريد أن أعلم جهلا ،و لا أريد أن أعظ غافلا، ولا ابنهذهلا.

- فليس بينه وبين صفاء جدار و لا ستار حائل رقيق أو صفيق.
- و يأخذ بخطة مما يصيبها من النعماء و البأساء و ما ينو بها من السراء و الضراء.

[1] المعذبون في الأرض ،ص 14-165

[2] أحمد علبي ، طه حسين رجل و فكر عصر ، دار الأدب ، بيروت ط 1 1985 ، ص 319

وكذلك لطه حسين سمات أخرى تحدد بقية أبعادها، ومن تلك المميزات استخدام جملة من اللازمات، في البدء و الانتقال و التفصيل كقوله (ليس من شك) و (مما لا شك فيه) و (يحدث هذا و يحدث حينا).[1]

و من طريقة طه حسين المميزة ميله إلى التوجه بالحديث إلى المخاطب حتى يبدوا و كأنه يحدث القارئ من جهة و من جهة أخرى لا يكتب إليه .

ومن هذه الرسائل السابقة التي استعملها طه حسين في كتابته تورطه أحيانا في اللف و الدوران من دون جدوى و ضرورة ، و استخدام التتابع بوسائله العديدة في تجسيم أبعاد الصورة الحسية و تعميق الإحساس بأبعاد الصور الفنية ، وتأكيد الإيمان بالفكرة المجردة .[2]

و من أسلوبه أيضا الإكثار من الموازنة كقوله :

- أقل منهم غني و أضيق منهم ثراء .
- فأن أبعد عن الناس عن التحكم و أزهدهم في التجني .
- إنك لطويل اللسان كثير الخصام
- وأقام في الدار ملقى في زاوية من زواياها يمهل في ازدراء، ويمرض في عنف.
- كأنما دفعها إلى الوثوب لولب في الأرض أو جذبها إلى الوقوف سبب في السقف.
- وما الذي يعنيني من أن يترف المترفون حتى يقتلهم الترف، ومن أن يشقي الأشقياء حتى يهلكهم الشقاء .
- ولكني أعرض عنه بوجهي، وأنأى عنه بجانبي.[3]

فهو يجعل النعت صفة مشتقة من المنعوت : مثل: البؤس و البائس

---

[1] تطور الأدب الحديث ، في مصر أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية ، د.أحمد هيكل، دار المعارف ،مصر،ط6 1994،ص 380

[2] تطور الأدب الحديث ،د. أحمد هيكل ، ص 381

[3] مصدر سابق

- جهدا جهيدا
- فتنة فاتنة
- الرحمة الرحيمة
- الهول الهائل
- أشق المشقة .

ومن أسلوبه أيضا الإكثار من المفاعيل المطلقة ، قوله :

- يلقيه بين يدي أمنية إلقاءا \فانكب نحو الأرض إنكبابا .
- يختلس الوسائل اختلاسا .
- نرى الشقاء يصب عليه صبا \ احتز القطار رأسها احتزازا .[1]

إن أسلوب طه حسين هو السهل الممتنع ، لقد طلع على الناس بأسلوب لا سابق عهده لهم به عندما أصدرحديث الأربعاء 1925 ، و تعبير طه حسين متألقا وليس فضفاضا و لامترهلا، يأتي حاملا للأفكار على نحو سوي بين المضمون و الشكل .[2]

طه حسين يبدأ قصصه بمقال، لا يمكن أن يعد جزءا عضويات من القصة ثم بعد ذلك يدخل في الحديث عن القواعد و الأساسيات التي وضعها النقاد لضمان جودة الكتابات القصصية، فهذه الأقاصيص يغلب عليها عنصر السرد على الحوار و تعتبر من عيوب الروايات و القصص ، فالشخصيات تتكلم بلسان طه حسين ، فجل قصصه تعاني الغموض فهي في الأخر لا تقنعنا بل تفاجئنا ، فلم تتوفر في قصصهالشروط الفنية أو البنائية للقصة الحديثة ، فطه حسين في عمله هذا مجرد سارد للأحداث.

[1] مصدر سابق

2 أحمد علبي ، طه حسين رجل وفكر عصره ، ص319

بعد دراستي لموضوع الأبعاد الاجتماعية في هذا الكتاب .تمكنت من رصد مجموعة من النتائج ألخصها فيما يلي :

- تعد رواية " المعذبون في الأرض " لطه حسين من الروايات الواقعية الاجتماعية التي تعالج قضايا المجتمع .
- مضمون الرواية احتضن موضوع الفوارق الطبقية في مصر خلال أربعينيات القرن الماضي .
- الوصف الوارد في الرواية كان كثيرا جدا وصباهتمام الكاتب .
- دراسة الشخصيات بما تتميز به من ثراء، دلالة المصطلح و معانيه فهو يحمل عدة تعاريف و مفاهيم ، فلكل باحث مفاهيمه الخاصة به فلا توجد رواية دون شخصيات فلها مكانة بارزة ، فقد قسمناها إلى شخصيتين :

- الأولى : الرئيسية و هي العنصر الفعال و المهم و المحرك الأساسي للأحداث في العمل الروائي ،لا يمكن أبدا الاستغناء عنها .
- الثانية : الثانوية تلعب دورا هاما فهي مكملة للشخصية الرئيسية في بعث الحركة و الحيوية داخل الرواية لا يمكن الاستغناء عنها هي أيضا .

كما تطرقنا إلى دراسة أبعاد الشخصية من حيث البعد النفسي و الاجتماعي و الجسماني ، والتي لها دور في التعرف على سيمات الشخصية و مظاهرها الخارجية .

وكذلك المكان و الزمان لهما دورا هاما في إنتاج الأعمال الأدبية حيث ركز عليها المبدع أكثر من الإشارة إلى الزمان و المكان.

كل هذا أكسب الرواية حيوية و ثراء سواء من حيث الشخصيات أو الأمكنة أو الأزمنة.

خاتمة

وبعد هذا يبقى موضوع البحث في طه حسين مفتوحا ولا يمكن لهذا البحث المتواضع أن يسد كل الإشكالات في كتابات هذا الكاتب الكبير .

وأتمنى أن أكون قد ساهمت ولو بشيء قليل في إنارة بعض القضايا المتعلقة بكتابات طه حسين أو بهذا الكتاب ، و الله ولي التوفيق

قائمة المصادر و المراجع

I- القرآن الكريم رواية ورش

II- الحديث:

- صحيح البخاري

III- المصادر :

- طه حسين، المعذبون في الأرض ، دار المعارف ، القاهرة،ط13 ،2008.

IV- المعاجم:

- إبراهيم مصطفى و آخرون ، المعجم الوسيط ، اسطنبول
- أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم بن منظور ، لسان العرب مج 13 ، دار صادر ، بيروت ط 1 ،2010

V- المراجع :

1. ابن سينا : حنان محمد موسى حمودة : الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، أحمد عبد المعطي حجازي أنموذجا
2. ابو بكر عبد الرزاق ، وثائق قضايا طه حسين ، صيدا بيروت ، 1926م – 1956 م
3. أحمد شايب ، أصول النقد الأدبي ، دار النشر مكتبة النهضة المصرية ط2 1
4. أحمد علبي ،طه حسين رجل و فكر و عصر ، دار الآداب – بيروت ، ط1 1985
5. أحمد هيكل،تطور الأدب الحديث ، في مصر أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية ، دار المعارف ،مصر،ط6 1994
6. أمل حركة ،دراسات في علم اجتماع الأدب ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2009

7. أنور الجندي ،طه حسين حياته و فكره في ضوء الاسلام ، دار الاعتصام ، ط2 ، 1397هـ-1977م

8. بييرزيما ، ترجمة عيادة لطفي ،النقد الاجتماعي ، دار الفكر لدراسات و النشر و التوزيع – القاهرة ، ط1 1991

9. جعفر الشيخ عبوش ،السرد و نبوءة المكان ، عمان ، دار غيداء، ط 1 2015م – 1436 هـ

10. حسن حنفي ،حوار الأجيال ،دار قباء / القاهرة ،1998

11. حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، من منظور النقد الأدبي ، الدار البيضاء ، المغرب ط3 2000

12. سامح كريم ،ماذا يبقى من طه حسين ، دار القلم بيروت / لبنان ، ط2 1977

13. سعدي صناوي .مدخل إلى علم الاجتماع الأدب .دار الفكر العربي . بيروت .ط1 1994

14. سمير التنير ،الفقر والفساد في العالم العربي ، دار الساقي بيروت لبنان ،ط1 2009

15. شعبان عيد الحكيم محمد ،الرواية العربية الجديدة ، دراسات في آليات السرد و قراءات نصية ، عمان ، ط 1 ، 2014

16. عالية محمود صالح .البناء السردي في روايات اليأس خوري ، عمان ، دار أزمنة ، ط1 ،2005

17. عبد الرحمن سيف سردار ، اقتصاد الفقر و توزيع الدخل ، دار الراية لنشر و التوزيع ، عمان ، ط1 2015

18. عبد الملك مرتاض ،في نظرية الرواية ، 1998

19. عبد المنعم زكريا القاضي ، البنية السردية في الرواية، دراسة نقدية في ثلاثية خيري شلبي لدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية ، الهرم ط1 2009

20. محسن جاسم الموسوي ، أ.د بثينة خالدي ، الأدب العربي الحديث ، المركز الثقافي المغربي

21. محمد بوعزة : تحليل النص السردي ، تقنيات و مفاهيم ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون الجزائر ط1 2010

22. محمد سعيد فرج-أ.د مصطفى خلف عبد الجواد،علم اجتماع الأدب،دار النشر عمان،ط$_1$2009 م- 1430هـ

23. محمد صالح الشنطي ،أسئلة الفكر و فضاءات السرد ، دراسات نظرية و تطبيقية في الرواية العربية المعاصرة ، عمان ، مؤسسة الوراق ط1 2013

24. محي الدين أبو شقراء ،مدخل إلى سسيولوجيا الأدب العربي، المركز الثقافي العربي، ط2005،$_1$

25. وائل غالي ،معرفية النص ، دار الثقافة لنشر و التوزيع ، القاهرة ،1980

26. ياسين النصير : الرواية و المكان ، دار الشؤون الثقافية العالمة ، بغداد 1986

27. يانيكلوميل ، ترجمة د: جورجيت الحداد ،الطبقات الاجتماعية ، دار المطبوعات الجامعية ، فرنسا ، ط1 2008

28. يوسف الفرظاوي ،مشكلة الفقر و كيف علاجها في الاسلام ، مؤسسة الرسالة لنشر ، بيروت ، طبعة جديد 1406هـ-1985م

العنوان	رقم الصفحة
المقدمة	I
- مدخل: علم الاجتماع الأدبي مفهومه و مناهجه.....	1
- الفصل الأول : **المظاهرالاجتماعيةفيالكتاب**	
4-تعريف بالكتاب.....	8
5-مظاهر الاجتماع في الكتاب	
أ – ظاهرة الفقر.....	14
ب –ظاهرة الفوارق الطبقية.....	17
ج- ظاهرة العادات و التقاليد.....	19
د – صورة المرأة.....	21
6-منهج طه حسين في معالجة هذه القضايا.....	24
- الفصل الثاني:**القيم الجمالية والفنية لهذا العمل.**	
4-المكان و الزمان في الكتاب .	
أ- المكان	31
ب- الزمان.....	38
5-الشخصيات.....	41
6-أسلوب الكتاب	54
- الخاتمة	III
- قائمة المصادر و المراجع	-
- الملخص	-

الملخص :

لقد تأثر المشهد الروائي منذ مرحلة الأربعينيات بالأحداث السياسية ، الاقتصادية و الاجتماعية . التي وسمت هذه الفترة ، مشكلة بذلك منعرجا حاسما في تاريخ مصر المعاصر ، و رواية " المعذبون في الأرض لطه حسين ، صورت معاناة الشعب المصري بشتى أشكاله محاولا على ذلك تنبيه إلى كد من مشكلة الطبقية .

الكلمات المفتاحية : طه حسين ، المجتمع ، الطبقية , المعذبون في الأرض ,الواقع

Résumé

TahHossein nous transmet à travers son livre Le tourmenté dans la terre la malédiction qui atteint l'Egypte dans les années 40 qui a porter malheur au system que ça soit dans le palier économique ,politique et sociale tout en expliquant à quel point ça a ralenti le développement de l'Egypte

Les mots clés :le tourmenté dans la terre , Tah Hossein ,class , la réalité

Abstract

Tah Hossein as hetold us throughhis book the obstacle that has slowed the growth and the développement of the BIG EGYPT in the diffrerentfieled (economic , social and politic) and how Much i twas So bad

Key words : the tourntedin the earth ,class, reality , the society